

فن الحرب
بارون دي جوميني
ترجمة
مركز نورس للدراسات
NORS

إهداء

إلى أمّتنا الإسلامية

إلى كل من يحمل السلاح دفاعاً عن قضيتنا

إلى كل حرٍّ، يرى في العسكرة سبيل الخلاص من الظلم



مقدمة المركز

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . .

يقول الله تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }

وعَن أبي أُمَامَةَ رضيَ اللهُ عنهَ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلمَ قالَ: « فَضْلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْنَاكُم »

يعاني العالم العربي والإسلامي من نقص شحيح في باب العلوم العسكرية التي يجب أن يمتلكها القادة العسكريون ليُديروا بها الحرب كلها لا المعارك فقط، وهذا النقص مردّه لغياب الفتوحات العسكرية عن عالمنا وانحراف المؤسسة العسكرية التي أصبحت موجهة لشعوبنا لا لعدوّها، إضافةً لتوقف حركة الترجمة العلمية للكتب التي تتناول هذا النقص، ويُسدّ بقراءتها وتَعلُّمِها هذا النقص.

وإننا في مركز نورس نقدم للقرّاء الأعزّاء هذا الكتاب الذي يُعتبر أحد أهم الأعمدة في هذا الباب لما له من تأثير في العسكرة وتاريخها. سائلين الله التوفيق والقبول.

تعريف بالكاتب

الجنرال البارون **أنطوان هنري جوميني *(1779-1869)*** ولد في بلدة بيرن في سويسرا لأب وأم إيطاليين. بعد إتمام دراسته في سويسرا انتقل الى باريس وعمل كاتباً لبنك مونسيس موسلمان. كانت انتصارات نابليون بونابرت في إيطاليا الدافع الرئيسي لترك عمله في التجارة والسمسرة والتحاقه بالجيش السويسري كنائب لقائد أحد المعسكرات. تدرّج جوميني في الجيش السويسري لخبرته الإدارية إلى أن أصبح مدير مكتب إداري في الجيش السويسري، فعمل فيه منظّماً لصفوف الجيش وكتائبه لمدة عامين. انتقل بعدها إلى باريس وعمل في أحد المصانع الحربية وبدأ بالكتابة في مبادئ الحرب وتاريخه مما استرعى انتباه الإمبراطور الفرنسي الذي عرض عليه منصباً في الجيش الفرنسي. قاتل جوميني مع جيش نابليون ضد البروس والنمساويين والإسبان تحت قيادة الجنرال ميشيل ناي وذلك من عام 1805 الى عام 1813، ونتيجة خلافه مع الضباط الفرنسيين الذين اغتاظوا من اهتمام نابليون به، فقاموا بشن حملة تشويه لسمعته، غادر على إثرها الجيش الفرنسي وانتقل للعمل مع الجيش الروسي كمستشار عسكري تحت قيادة ألكسندر الأول. عمل مع الروس على إيقاف تمدد نابليون في الشرق الأوربي، ثم أوقفه الروس عن مزاولة العمل العسكري الميداني قرب حدود الأراضي الفرنسية في عام 1826، وتم تكليفه بمهمة تنظيم الكلية العسكرية الروسية حيث يعتبر جوميني المؤسس والمنظم الحقيقي للكليّة العسكرية الروسية. استقال جوميني من الجيش الروسي في عام 1850 وانتقل للإقامة في مدينة بروكسل في بلجيكا. وفي عام 1854 استدعاه القيصر الروسي نيكولاس الأول لاستشارته في حربه على القرم. وفي عام 1859 استدعاه ملك فرنسا نابليون الثالث لاستشارته في حربه على إيطاليا.

يعتبر كتاب جوميني صاحب الفضل الأكبر في تأسيس المدرسة العسكرية الأمريكية الحديثة، حيث اعتمده الأمريكيون بشكل رئيسي في حربهم الأهلية عام 1861-1865 واعتُبر مذهباً عسكرياً استراتيجياً لهم.

تُوفي أنطوان هنري جوميني في عام 1869 في مكان إقامته في بروكسل ببلجيكا عن عمر 90 عام.

الفهرس

مسرح العمليات

قواعد العمليات

الخطوط والنقاط الاستراتيجية والنقاط الحاسمة لمسرح الحرب ونقاط الأهداف للعمليات

جبهات العمليات والجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع والمواقع الاستراتيجية

مناطق وخطوط العمليات

الخطوط الاستراتيجية للمناورة

وسائل حماية خطوط العمليات بالقواعد المؤقتة أو بالاحتياط الاستراتيجي

الأنظمة القديمة والحديثة للحروب

مخازن التموين وعلاقتها بالعمليات

الجبهات [الحدود]، والدفاع عنها باستخدام الحصون والخطوط المحصنة – حروب الحصار

العلاقة بين المعسكرات المحصنة ورؤوس الجسور بالاستراتيجية

العمليات الاستراتيجية في المناطق الجبلية

الاجتياحات الكبرى والحملات البعيدة

خلاصة الاستراتيجية

الفصل الرابع: التكتيكات الكبرى والمعارك

المواضع والمعارك الدفاعية

المعارك الهجومية وأوامر المعركة

المناورات الالتفافية والحركة الممتدة كثيراً في المعركة

التقاء غير متوقع لجيشين أثناء التقدم

مباغتات الجيوش

الهجوم على المدن والمعسكرات المطوقة بالخنادق والخنادق والضربات الخاطفة السريعة بشكل عام

الفصل الخامس: عدة عمليات ذات خصائص مختلطة (جزء منها استراتيجية والجزء الأخر تكتيكي)

المفارز التضليلية والكبيرة

عبور الأنهار والمجاري الأخرى

الانسحابات والمطاردات

المخيمات (المعسكرات) وفصل الشتاء

النزول أو الحملات البحرية

الفصل السادس: اللوجستيات أو فن تحريك الجيوش

عدة ملاحظات عامة على اللوجستيات

الاستطلاع ووسائل الحصول على معلومات دقيقة عن تحركات العدو

الفصل السابع: تشكيل وتوظيف القطاعات للمعركة

تمركز القوات في خط (ساحة) المعركة

تشكيل وتوظيف المشاة

تشكيل وتوظيف الفرسان

تشكيل وتوظيف المدفعية

توظيف الأسلحة الثلاث

الاستنتاج

إضافة

الملحق الأول

الملحق الثاني

مخطط قواعد عمل الحملات البحرية

أوربا الوسطى
1805-1807

النروج

السويد

الدنمارك

مملكة بريطانيا

مملكة هولندا

مملكة بروسيا

الامبراطورية الروسية

مملكة ساكسونيا

ملكة بفاريا

امبراطورية النمسا

امبراطورية فرنسا

مملكة إيطاليا

مملكة إتروريا

بابوية الفاتيكان

مملكة نابولي

مملكة سردينيا

مملكة صقلية

مملكة اسبانيا

مملكة البرتغال

الدولة العثمانية

NORS Studies
مركز نورس للدراسات

خلاصة فن الحرب

تعريف فن الحرب

يتألف فن الحرب بشكل عام من خمسة علوم عسكرية بحتة، وهي كالتالي: (الاستراتيجية، والتكتيكات الكبرى واللوجستيات والهندسة والتكتيكات).

سادس هذه العلوم (لم يتم الاعتراف بها حتى هذا اليوم كأحد علوم الحرب) هي الدبلوماسية وعلاقتها بالحرب. وعلى الرغم من أن هذا العلم أكثر ارتباطاً برجل الدولة [سياسي] مقارنة بالجنود، إلا أنه لا يمكن إنكار أهميتها لجميع قادة الجيوش إذا ما استثنينا الضباط المرؤوسين، فالسياسة تدخل في جميع التحضيرات المؤدية إلى الحرب، ولها ارتباط بمختلف العمليات التي تنفذ خلال الحرب، ومن هذا المنطلق يجب أن يكون للسياسة مكان في هذا الكتاب.

خلاصة: إن فن الحرب يتألف من ستة أجزاء متباينة وهي:

1. علاقة تدبير أمور الدولة [الحكم] بفن الحرب.
2. الاستراتيجية أو بعبارة أخرى فن تحريك الأجزاء الكبيرة من الجيوش على مسرح الحرب بشكل صحيح إما للدفاع أو الغزو.
3. التكتيكات الكبرى.
4. اللوجستيات أو فن تحريك الجيوش.
5. الهندسة وتعني كيفية الهجوم على التحصينات وكيفية الدفاع عنها.
6. التكتيكات الصغرى.

ويجب تحليل المزيج الأساسي من هذه العلوم الأربعة الأولى، وذلك بغض النظر عن التكتيكات وفن الهندسة. وأيضا من الواجب معرفة جميع أجزاء فن الحرب من قبل الجنرالات أو ضباط الأركان، إلا أن هذه المعرفة ليست ضرورية لرفع كفاءة ضباط المشاة أو الفرسان أو المدفعية.

الفصل الأول

علاقة تدبير أمور الدولة [الحكم] بالحرب

في هذا الفصل نظريات يستنبط منها رجل الدولة [السياسي] فيما إذا كانت الحرب مناسبة أو ضرورية أو واجبة، ويحدد من خلالها مختلف العمليات الضرورية لكسب الهدف من الحرب.

تخوض الدولة حرباً لعدة أسباب ومنها:

1. لاستعادة حقوق معينة أو للدفاع عنها
2. للحفاظ أو لحماية المصالح الكبرى للدولة كالاقتصاد أو الصناعة أو التجارة
3. لحماية الدول المجاورة التي وجودها ضروري للحفاظ على أمن الدولة أو توازن القوى
4. للوفاء بالعهود التي تتعلق بالتحالفات الدفاعية والهجومية
5. لنشر النظريات [المعتقدات] السياسية أو الدينية أو القضاء عليها أو حمايتها
6. لزيادة تأثير وقوة الدولة بالسيطرة على أراضي جديدة
7. للدفاع عن استقلالية الدولة في حال تعرضها للتهديد
8. للانتقام لشرف الدولة المهان
9. بسبب جنون الفتوحات (نشوة النصر)

يجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع المختلفة من الحروب تؤثر إلى حد ما على طبيعة ومدى الجهود والعمليات الضرورية لتحقيق النتيجة المطلوبة، فالطرف الذي يشعل الصراع قد يتحول إلى الدفاع، والطرف الذي تعرض للهجوم قد يتحول هو إلى الهجوم.

قد توجد ظروف أخرى تؤثر على طبيعة ومجريات الحرب مثل:

1. دولة تشن حرباً على دولة أخرى.
2. دولة تشن حرباً على عدة دول متحالفة فيما بينها.
3. عدة دول متحالفة تشن حرباً على دولة واحدة.
4. الدولة المشاركة في الحرب قد تكون طرفاً أساسياً في الحرب أو طرف مساعد لأحد أطراف الحرب الأساسيين.

5. في الحالة الأخيرة قد تدخل دولة في الصراع منذ البداية أو بعد نشوب الحرب.
6. قد يكون مسرح الحرب التي تخوضها الدولة أرض عدوها أو أرض دولة حليفة لها أو أرضها.
7. إذا كانت الحرب غزواً فقد تكون على أرض قريبة أو بعيدة، وقد تكون متأنية وحذرة أو متسرعة ومُغَامِرَة.
8. قد تكون الحرب حربا وطنية [قومية] إما ضد أنفسنا أو ضد العدو.[1]
9. قد تكون الحرب حرباً أهلية أو دينية.

يجب شن الحرب دائماً وفقاً للمبادئ الكبرى[2] لهذا الفن، مع توخي الحذر الشديد في طبيعة العمليات المراد تنفيذها، والتي تعتمد على ظروف كل حالة.

على سبيل المثال: 200000 جندي فرنسي يسعون لإخضاع الشعب الإسباني المتوحد خلف رجل واحد ضدهم، هؤلاء الجنود الفرنسيون لن تكون مناورتهم مشابهة لمناورة نفس العدد من الجنود إذا كانوا يتقدمون نحو فيينا أو مدينة أخرى بغرض إحلال السلام، أيضا لن تكون مناورة الجيش الفرنسي الذي يقاتل العصابات التابعة للجنرال مينا[3] كمناورة الجيش الذي يقاتل الروس في بورودينو[4]، ولا يستطيع الجيش الفرنسي أن يغامر بالتقدم نحو فيينا دون النظر لموقف الحكومات والشعوب الواقعة بين الراين والإن[5]، وبين الدانوب ونهر إلبه[6]. ويجب أن تقاتل الأفواج جميعها بنفس الطريقة، أما القادة والجنرالات فتحكمهم الظروف والأحداث.

هذه الإعدادات التي ذكرناها تنتمي معظمها لموضوع تدبير الحكم [الدولة] بشكل أو بآخر، مع العلم أنه من الممكن إضافة أمور أخرى متعلقة فقط بإدارة الجيوش لتشكل مجتمعةً

[1] توضيح: كثورة ضد دكتاتور (أنفسنا) أو محتل (عدو خارجي)
[2] يقصد الكاتب المبادئ الستة التي تكلم عنها في المقدمة
[3] مينا: فرانسيسكو إسبوز إلوندين (17 يونيو 1781 - 24 ديسمبر 1836)، المعروف باسم فرانسيسكو إسبوز ي مينا، كان زعيم العصابات الإسبانية التي قاتلت الغزو الفرنسي لأسبانيا الذي قاده نابليون عام 1807-1814.
[4] بورودينو: بلدة تقع غرب روسيا ، حدثت فيها معركة بين الجيش الفرنسي بقيادة نابليون وبين الروس بقيادة ميخائيل كوتوزف في السابع من سبتمبر عام 1812 انتصر فيها الفرنسيون.
[5] الإن: نهر ينبع من جبال الألب ويصب في الدانوب ويمر بسويسرا والنمسا وألمانيا بطول 517 كم
[6] نهر إلبه من أهم أنهار أوروبا الوسطى، ينبع من جبال الكارابات في جمهورية التشيك ويخترق التشيك وألمانيا قبل أن يصب قرب مدينة هامبورغ في بحر الشمال بطول كلي 1,094 كم.

"السياسة العسكرية". هذه السياسة العسكرية لا تنحصر فقط في الدبلوماسية [السياسة] ولا في الاستراتيجية، وإنما هي أيضاً ذات أهمية كبيرة لكل من رجل الدولة [السياسي] والجنرال.

الموضوع الأول: الحروب الهجومية لاستعادة الحقوق

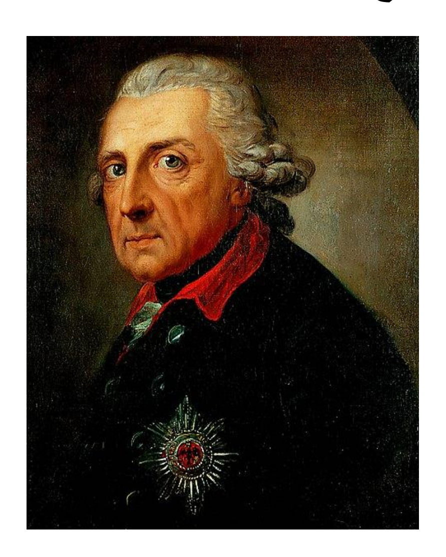
عندما تكون لدولة مطالب لدى دولة أخرى، فقد لا يكون من الأفضل فرضها بقوة السلاح. ومن الواجب النظر للمصلحة العامة قبل القيام بأي اجراءات. الحرب العادلة هي التي تكون للمطالبة بحقوق لا جدال فيها، إضافة لذلك يجب أن تكون نتيجة الحرب عائدة بفوائد متناسبة مع التضحيات المطلوبة والمخاطر المتوقعة. ومع الأسف فإن الكثير من الحروب تحدث للمطالبة بحقوق مزعومة ومتنازع عليها، على الرغم من أنها في الظاهر قائمة على المطالبة بإرث أو زواج أو وصية، إلا أنها في الواقع حروبٌ نفعية. وأبرز مثال على ذلك هو قضية خلافة التاج الإسباني تحت حكم الملك لويس الرابع عشر[7]، فقد طالب لويس الرابع عشر بوراثة العرش، وبدا أن الأمر حُسمَ بوصية رسمية وكان مدعوماً بالروابط العائلية وبتأييد شعبي لوراثة لويس الرابع عشر للعرش، إلا أن الأمر كان مرفوضاً من غالبية أوروبا، مما تسبب بتشكيل تحالف أوربي عام ضد الوريث الشرعي.



لويس الرابع عشر

[7] لويس الرابع عشر ملك فرنسا منذ 14 أيار 1643م حتى وفاته. لحسابات سياسية تزوج "ماري تيريز" "Marie-Thérèse" الإسبانية، وأنجبت له ستة أطفال، غداة موت ملك إسبانيا فيليب الرابع، ومطالبة لويس الرابع عشر بحق زوجته - ابنة الملك فيليب - بوراثة إسبانيا، شن الحرب على إسبانيا واستولى على حصون إسبانيا وقلاعها، فتصدى له حلف بريطاني -هولندي- سويدي اضطره إلى التفاوض معه وتوقيع صلح "إكس لاشابل" "Aix-la-Chapelle"، سميت هذه الحرب بحرب الأيلولة أو الوراثة واستمرت من 1701 حتى 1714.

أثناء الحرب بين النمسا وفرنسا، وجد فريدريك الثاني[8] الوقت مناسب للتذرع بمعاهدة قديمة، فاحتل محافظة سيليزيا[9]، مما زاد في قوة بروسيا. كان احتلاله لسيليزيا ضربة موفقة ؛ ذلك لأنه في حال فشله لا يمكن إدانته بهذا الاحتلال. كان لعظمة وأهمية الطموح الذي سعى إليه فريدريك الثاني مبرراً لحربه مع النمسا.



فردريك الثاني

لا يمكن وضع قواعد ثابتة لمثل هذه الحروب. لكن يمكنني القول بأن المراقبة والاستفادة من كل ظرف هي القاعدة التي يجب أن يُعمل بها في الحروب. يجب أن يكون هجوم دولة ما على دولة أخرى يتناسب مع النتيجة المراد تحقيقها. الخطوة الأكثر فطرية هي احتلال أراضٍ متنازع عليها، وبعدها تُنفّذ العمليات الهجومية وفقاً للظروف وتبعاً لقوة كل طرف، والغرض من ذلك تأمين مصير الأرض المسيطر عليها حديثاً من العدو، وتأمين وسائل لتهديد العدو في أراضيه. كل شيء يعتمد على تحالفات الأطراف، فمن الممكن تأمين الموارد العسكرية من دول أخرى. أثناء الهجوم يجب توخي الحذر من استفزاز أي دولة أخرى مما يساعد العدو الرئيسي، وهذا جزء من مهمة رجل الدولة [السياسي]، وتجنب ذلك يكون من خلال تقديم تفسير مناسب وضمانات مناسبة للدول الأخرى.

---

[8] فريدريك الثاني: فريدرش الثاني أو فريدريك ملك بروسيا (1768-1740). اشتهر بدهاءه في الحملات العسكرية وفي تنظيم الجيوش البروسية. كانت عملية دخوله لسيليزيا ضمن حرب الخلافة النمساوية (1748-1740) بحجة معاهدة قديمة تعود لعام 1537 ورفضه لحكم إمرأة للنمسا وكان الغرض من احتلال سيليزيا الاستفادة من مكانتها الاقتصادية لتقوية دولته.

[9] سيليزيا: مقاطعة تقع في الجزء الجنوبي الغربي من بولندا الحالية وكانت جزء من النمسا.

الموضوع الثاني: الحروب الدفاعية سياسةً والهجومية من المنظور العسكري

نادراً ما تحصل دولة ما على حقوقها المنصوص عليها في معاهدة قديمة مع دولة أخرى دون نشوب حرب، وتفضل الأخيرة الدفاع عن مناطقها باعتباره الخيار الأكثر شرفاً. إلا أنه من الأفضل أخذ المبادرة بالهجوم، بدلاً من انتظار الهجوم على أراضيها.

توجد مزايا عادة لصالح المهاجم في حال كانت الحرب على أرض العدو، وكذلك هناك مزايا للدولة التي تكون الحرب على أراضيها. فإذا كانت الدولة المهاجمة لديها قوة عسكرية جيدة مع وجود استقرار داخلي، إضافة لضمانها عدم تدخل طرف ثالث لصالح الطرف المدافع، فستكون الفائدة كبيرة من خوض المعركة على أرض العدو. هذا الأمر سيحمي أراضي الدولة من التخريب، وتكبد العدو التكاليف وترفع معنويات جنود الدولة وبالمقابل تنخفض معنويات جنود العدو.

أما في المقابل وبالمنظور العسكري الصرف فإن الدولة التي تقاتل على أرضها تمتلك مزايا عظيمة، لمعرفتها بجميع المعالم الطبيعية والصناعية على أرضها، فتكون تحركاتها مدعومة بمعرفة البلاد، إضافة لتأييد المدنيين ومؤسسات السلطة.

هذه الحقائق الواضحة لها تطبيقات في جميع توصيفات الحروب ؛ فإذا كانت المبادئ الاستراتيجية ثابتة فإن السياسة المتعلقة بالحرب متغيرة، وذلك تبعاً للرأي العام ودول الجوار والشخصيات السياسية وقادة الجيوش. حقيقة هذه التغيّرات تدل على أن الحرب لا تعرف قواعد معينة. تستند العلوم العسكرية على قواعد لا يمكن كسرها جزافاً بوجود عدو نشط وماهر، بينما الجانب السياسي والمعنوي [الفكري] يمثل الجانب المتغير. توضع خطط العمليات كما تتطلب الظروف، ولتنفيذ هذه الخطط يجب الفهم والعمل وفقاً للمبادئ الأساسية للحرب.

على سبيل المثال: فإن خطة الحرب ضد النمسا أو فرنسا أو روسيا ستختلف بشكل كبير عن خطة الحرب ضد حشود الأتراك الشجعان لكن الغير منضبطة، حيث تفتقر إلى النظام والقدرة على المناورة ولا تستطيع الثبات والصمود تحت الضربات.

الموضوع الثالث: الحروب النفعية

لقد كان غزو سيليزيا من قبل فريدريك الثاني، وحرب الخلافة الاسبانية[10] حروباً نفعية. وهناك نوعين للحروب النفعية:

1. حين تبادر الدولة القوية بالاستيلاء على الحدود الطبيعية لدولة أخرى لأسباب تجارية أو سياسية
2. بغرض التخفيف من قوة منافس خطير أو لمنع توسعه.

هذه الأخيرة هي حروب التدخل، ومن النادر أن تبادر الدولة منفردة بالهجوم على منافس خطير، بل ستحاول تشكيل حلف لهذا الغرض. تتدرج هذه الأمور في الحكم أو الدبلوماسية [السياسة] أكثر من دخولها في الحرب.

الموضوع الرابع: الحروب مع الحلفاء أو دون حلفاء

إن الحرب مع حليف هو أمر مرغوب فيه بالطبع، وعلى الرغم أن الدولة العظيمة قادرة على التغلب على دولتين ضعيفتين متحالفتين، إلا أن التحالف يبقى خياراً أفضل من التفرق. لا يقتصر عمل الحليف على إرسال قوات دعم متفق عليها لحليفه، بل أيضاً يشكل تهديداً لجزء من حدود العدو التي كانت آمنة لولا هذا التحالف. على مر التاريخ لا يوجد عدو مهما كان ضعيفاً بحيث يمكن تجاهله أو احتقاره من قبل أي قوة مهما كانت عظيمة.

الموضوع الخامس: حروب التدخل

من الواضح أن التدخل في صراع بدأ للتو له مزايا أكثر بكثير من خوض حرب تحت أي ظرف أخر. فالدولة التي تتدخل تلقي بكامل قوتها وتأثيرها لصالح أحد طرفي الصراع بعد تقديرها لمآل الحرب، ويكون تدخلها في اللحظة الأمثل وبالاستعانة بمواردها بالشكل الأنسب.

---

[10] حرب الخلافة الإسبانية أشرنا إليها سابقا في هامش التعريف بلويس الرابع عشر، وهي حرب نشبت في (1714 -1701) وتضمنت أيضا حرب الملكة آن في أمريكا الشمالية كانت حرب الخلافة الإسبانية صراعاً أوروبياً كبيراً بدأت بوادره بالظهور عام 1701 مع موت الملك الإسباني كارلوس الثاني وهو آخر ملوك سلالة هابسبورغ، كان كارلوس قد أورث كامل مملكته لفيليب دوق أنجو، وهو حفيد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر فأصبح ملك إسبانيا باسم فيليب الخامس.

هناك نوعين من التدخل:

1. التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو المجاورة
2. التدخل في العلاقات الخارجية للدول الأخرى أو المجاورة

يتعارض النوع الأول من التدخل مع الجانب الأخلاقي، ومع ذلك يتكرر مراراً. اكتسب الرومان قوة كبيرة لتدخلهم في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وأيضاً كان لشركة الهند الشرقية[11] نفوذ كبير بفضل هذه التدخلات. لا تنجح هذه التدخلات دائماً ؛ فعلى سبيل المثال: اكتسبت روسيا القوة بفضل هذه التدخلات في بولندا والنمسا، إلا أنها كادت أن تدمر نفسها لتدخلها في الشؤون الداخلية في فرنسا خلال الثورة الفرنسية. ويعتبر التدخل في الشؤون الخارجية للدول أكثر قانونية [شرعية]، وقد تعود بفوائد أفضل من التدخل الداخلي ؛ ذلك لأن التدخل في الشؤون الداخلية للدول يكون مشكوكاً في أحقيته، ومن المؤكد أنه يحق لأي دولة معارضة سياسة دولة أخرى بسبب نشرها الفوضى في المنطقة.

هناك أسباب طارئة للتدخل في الحروب الخارجية:

1. عملاً باتفاقية تلزم تقديم المساعدة لطرف يخوض حرباً مع دولة أخرى
2. الحفاظ على التوازن السياسي
3. لتجنب عواقب مضرة لحرب بدأت للتو
4. لتأمين فوائد معينة لا يمكن الحصول عليها بطريقة أخرى

التاريخ حافل بأمثلة لقوى سقطت وانهارت لإهمالها هذه المبادئ، "حيث تبدأ الدولة بالانحطاط عندما تسمح للأعداء والقوى الثانوية بالتوسع المفرط، حتى تصبح هذه القوى الثانوية قادرة على تغيير المعادلة إذا ألقت بثقلها في الوقت المناسب".

---

[11] شركة الهند الشرقية: وكذلك سميت بشركة جون، هي شركة تشكلت في البدء لمزاولة التجارة مع جزر الهند الشرقية، ولكن انتهى بها الأمر بالمتاجرة مع شبه القارة الهندية والصين .وكانت الأقدم بين العديد من شركات الهند الشرقية الأوروبية ذوات الأسماء المشابهة، وقد حصلت الشركة على تفويض ملكي إنجليزي، تحت اسم حاكم وشركة تجار لندن المتاجرين في جزر الهند الشرقية وبعد أن تحدت شركة إنجليزية منافسة الاحتكار في نهاية القرن السابع عشر، اندمجت الشركتان في 1708 ليشكلا الشركة المتحدة لتجار إنجلترا المتاجرين في جزر الهند الشرقية التي اشتهرت باسم شركة الهند الشرقية المحترمة. كانت إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا قد أصدرت مرسوماً بإنشائها في 31ديسمبر 1600 مانحة لها سلطات احتكارية على تجارة الهند وجميع مستعمراتها في جنوب شرق آسيا لمدة 21 عاماً. وذلك بأن تنفرد هذه الشركة بتولي جميع المعاملات التجارية. وبهذا تحولت هذه الشركة من مشروع تجاري إلى مؤسسة تحكم جميع الولايات الهندية وجميع مستعمرات التاج البريطاني في المنطقة وذلك بدعم سياسي وعسكري من بريطانيا. استمر ذلك حتى تم حلْ الشركة إثر اندلاع التمرد، والعصيان المدني في الهند عام 1858.

يُعد الظهور المفاجئ لجيش قوي وكبير كطرف ثالث في حرب شديدة التنافس أمراً حاسماً من الناحية العسكرية. الكثير من هذه الحالات تعتمد على الموقع الجغرافي فيما يخص الجيوش الموجودة أصلاً في الميدان. على سبيل المثال: في شتاء عام 1807، عبر نابليون نهر فيستولا[12] وجازف بالوصول لأسوار كونغسبورغ[13] جاعلاً النمسا خلفه وروسيا من أمامه. لو أرسلت النمسا جيشها في ذلك الوقت (الذي كان مؤلفاً من مئة ألف جندي) من بوهيميا[14] باتجاه نهر أودر[15]، فمن المحتمل له أن يقضي على جيش نابليون، كانت هناك الكثير من الأسباب التي تدعو للاعتقاد أنه لن يستطيع استرجاع نهر الراين. بدلاً من ذلك فضلت النمسا الانتظار بهدف تجهيز أربعمائة ألف جندي. وبعد سنتين دخل جيش النمسا المعركة وتعرض للهزيمة ؛ بينما كان من الممكن لمئة ألف جندي مجهزون بشكل جيد، أن يحددوا مصير أوربا في حال دخولهم المعركة في الوقت المناسب[16].



نابليون الأول إمبراطور فرنسا

---

[12] نهر فيستولا: أطول نهر في بولندا طوله 1047 كم ينبع من جبال كارباثيان في جنوبي بولندا ثم يتخذ مجرى دائريا نحو الشمال ثم يشق مدينة وارسو ثم يصب من خلال عدة فروع في بحر البلطيق

[13] كونغسبرغ: كونغسبرغ هي التسمية التاريخية لمدينة كالينينغراد (حالياً تنتمي لروسيا) وتقع على بحر البلطيق وحين كان يحاصرها نابليون كانت العاصمة المؤقتة لبروسيا بعد سقوط برلين.

[14] بوهيميا: منطقة تاريخية في أوروبا الوسطى. تحتل الأجزاء الغربية ومعظم الأجزاء الوسطى من جمهورية التشيك حالياً. وكانت في ذلك الوقت جزء من الإمبراطورية النمساوية.

[15] أودر: نهر الأودر هو نهر يبلغ طوله 866 كلم، يقع في وسط أوروبا بين بولندا وألمانيا. ويصب نهر الأودر في بحر البلطيق عن طريق بحيرة ستاتين.

[16] كانت تلك الحرب هي حرب التحالف الرابعة وهو صراع عسكري دام بين عامي 1806 - 1807 في أوروبا الغربية بدأ عندما تم تشكيل تحالف أوروبي للهجوم على إمبراطورية فرنسا في عهد نابليون بواسطة روسيا وبروسيا وساكسونيا وبريطانيا العظمى. توجه نابليون نحو كونغسبرغ جاء بعد احتلال فرنسا لبولندا نهاية عام 1806. إثر تفويت هذه الفرصة في القضاء على نابليون تعرضت النمسا لهزيمة من فرنسا عام 1809 في حرب التحالف الخامسة.

هناك عدة أنواع من الحروب ناتجة عن هذين النوعين من التدخلات:

1. التدخل بشكل الثانوي، وبقوة محددة منصوص عليها بمعاهدات مسبقة.
2. التدخل لدعم دولة ضعيفة مجاورة لحماية أرضها، وفي هذه الحال يتم نقل المعركة إلى دولة أخرى
3. تتدخل الدولة كطرف أساسي في الحرب إذا كان مسرح الحرب قريب منها، مما يؤدي إلى احتمال نشوء تحالف من عدة قوى ضد دولة واحدة.
4. تتدخل الدولة في صراع كان قد بدأ أو قبل أن يبدأ.

عندما تتدخل دولة بقوة صغيرة فقط تطبيقاً لشروط معاهدة، فإن هذا التدخل مجرد تدخل شكلي، وليس له صدى كبير في مجرى العمليات الرئيسية، أما إذا كان التدخل كطرف أساسي وبقوة عظيمة فإن هذه الحالة مختلفة تماماً.

تتباين الفرص العسكرية في مثل هذه الحروب. كان للجيش الروسي دورا ثانوياً في الصراع بين النمسا وفرنسا خلال حرب السبع سنوات[17]، ومع ذلك لعبت دوراً رئيسياً في الشمال إلى أن احتلت بروسيا. لكن عندما قاد الجنرالين فيرمور[18] وسالتيكوف[19] الجيش حتى وصلوا إلى براندنبورغ[20]، كان عملهم هذا لصالح النمسا فقط، وكان مصير هذه القوات البعيدة عن قواعدها يعتمد على حسن أو سوء مناورة حلفائها[21]. رحلة طويلة كهذه تعتبر خطرة وعملياتها معقدة بشكل عام، حيث أظهرت حملات عام 1799 و1805 نماذج حزينة لما تؤول إليه مثل هذه الرحلات، وسنشير إليها في الموضوع 29 للمناقشة في الجانب العسكري لمثل هذه الحملات. يؤدي ذلك لتعرض الجيش للمخاطر بسبب التدخل في مناطق بعيدة. ويوجد ميزة في المقابل وهي حماية البلاد من أي هجوم، وذلك لبعد الحرب عن أراضي الدولة، فما هو معاناة بالنسبة للجنرال قد يكون في نفس الوقت ميزة ايجابية بالنسبة للدولة.

---

[17] حرب السنوات السبع ويطلق عليها أيضاً الحرب البومرانية هي حرب جرت بين عام 1756 م وعام 1763 م. وقد شاركت فيها بريطانيا وبروسيا ودولة هانوفر ضد كل من فرنسا والنمسا وروسيا والسويد وسكسونيا. وكانت روسيا حين ذلك في عهد الملكة إليزابيث تدعم النمسا وفرنسا ضد بروسيا وبريطانيا.

[18] ويليام فيرمور: ضابط في الجيش الإمبراطوري الروسي، اشتهر بقيادة جيش بلاده في معركة زورندورف خلال حرب السبع سنوات.

[19] بيوتر سيميونوفيتش سالتيكوف كان سياسياً روسياً وضابطاً عسكرياً، وترقى إلى رتبة مشير في 18 أغسطس 1759.

[20] براندنبورغ: الأن هي محافظة ألمانية وسابقاً كانت ضمن بروسيا

[21] كان فيرمور قد تولى قيادة الجيش الروسي في غزو بروسيا حتى توجهه نحو برودنبيرغ حيث تولى محله سالتيكوف وأصبح تحت قيادته ومن ثم تمكن سالتيكوف من دحر الجيش البروسي، كان موقف الجيش الروسي حرجاً لولا إمدادات حلفائهم النمساويين.

من الأمور الأساسية والمفضلة في مثل هذه الحروب أن يتمتع الجنرال العسكري بفكر سياسي، ويضع شروطاً واضحة مع الحلفاء فيما يخص دور كل طرف في العمليات الرئيسية، وكذلك من أجل الاتفاق على أهداف متوافقة مع المصالح المشتركة. بإهمال هذه الاحتياطات فشلت الكثير من التحالفات، أو بقيت في صراع شديد مع قوى أكثر اتحاداً، رغم ضعفها مقارنة بالحلفاء.

النوع الثالث من أنواع التدخل يكون بتدخل الدولة بكل قوتها، وبالقرب من حدودها، وهذا النوع من التدخل يعود على الدولة المتدخلة بمنافع كبيرة أكثر من المنافع في بقية أنواع التدخل. كان للنمسا فرصة من هذا النوع في عام 1807[22]، إلا أنها فشلت في الاستفادة من هذه الفرصة. وفي عام 1813 حصلت النمسا على فرصة أخرى حيث كان قد جمع نابليون قواته في سكسونيا ناقلاً جبهة العمليات بالاتجاه المعاكس. قام الجيش النمساوي الذي كان على ثقة تامة من النصر بالهجوم بقوات مؤلفة من مئتي ألف جندي على جيش نابليون، واستعادت النمسا خلال شهرين من المعارك[23] امبراطورية إيطالية ونفوذها في ألمانيا التي كانت قد خسرته خلال الخمسة عشرة سنة الفائتة إثر الكارثة. في هذا التدخل لم تكن الفرص العسكرية لصالحها فقط بل حتى الفرص السياسية، مما أدى إلى أثر مضاعف وزيادة كبيرة في المنافع[24].

من المؤكد أن انتصار النمسا كان نتيجة لقرب مسرح العمليات من حدودها، مما سمح بأكبر قدر من إظهار القوة، وكذلك لأن النمسا دخلت في صراع جارٍ كان قد بدأ قبل دخولها فيه، وأيضاً من أسباب انتصار النمسا هو دخولها في الصراع بكامل مواردها وفي الوقت الأنسب لها.

هذه الميزة المزدوجة كانت أمراً حاسماً بالنسبة للملكيات القوية وحتى الصغيرة منها، حيث مكّنتها من الحصول على نفوذ مؤثر نتيجة استغلال هذه الميزة.

---

[22] وذلك في حرب التحالف الرابعة

[23] هذه المعركة هي معركة درسدن التي وقعت في 26 و27 أغسطس عام 1813 ولم يُكتَب للنمسا النصر فيها، إلا أنها انتصرت على نابليون في معركة الأمم أو لايبزغ بعدها بشهرين

[24] حرب التحالف السادسة (مارس 1813 - مايو 1814)، والمعروفة في ألمانيا بحرب التحرير، وهي تحالف بين النمسا وبروسيا وروسيا والمملكة المتحدة والبرتغال والسويد وإسبانيا وعدد من الدول الألمانية التي هزمت فرنسا أخيراً وقادت نابليون إلى منفاه في الألبه. بعد الغزو الفرنسي الكارثي لروسيا عام 1812، انضمت القوى الأوروبية إلى روسيا والمملكة المتحدة والبرتغال والمتمردين في إسبانيا الذين كانوا في حالة حرب مع فرنسا

مثالان يرسخان هذا المفهوم:

المثال الأول كان في عام 1552 أعلن ناخب سكسونيا موريس[25] وبكل جرأة الحرب على شارلكان (كارلوس) الخامس[26] ملك إسبانيا وإمبراطور[27] ألمانيا وإيطاليا، والذي كان قد انتصر على فرانسوا الأول[28] وأحكم قبضته على فرنسا. مما أدى إلى نقل الحرب إلى مقاطعة تيرول[29] النمساوية وأوقفت مسيرة هذا الفاتح العظيم.

المثال الثاني كان في عام 1706 حيث أعلن دوق سافوا فيتوريو أميديو الثاني[30] الحرب على لويس الرابع عشر، مما أدى إلى تغير الأوضاع في إيطاليا، وكانت النتيجة تراجع الجيش الفرنسي من ضفاف نهر أديجي[31] إلى أسوار تورينو، حيث واجهت الكارثة الكبرى التي خلدت الأمير يوجين[32].[33]

لقد شرحنا بما فيه كفاية لتوضيح أهمية وتأثير مثل هذه التدخلات الانتهازية، ويجب وضع المزيد من التوضيحات، لكنها لن تساعد في زيادة قناعة القارئ.

[25] موريس (21 مارس 1521 - 9 يوليو 1553) كان دوق (1547-1541)؛ ثم بعدها ناخب (1553-1547) لـ ساكسونيا

[26] شارلكان أو كارلوس الخامس هابسبورغ (24 فبراير 1500 - 21 سبتمبر 1558) ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

[27] إمبراطور ألمانيا وإيطاليا: كانت ألمانيا وإيطاليا موحدة وتسمى المملكة الرومانية المقدسة للأمة الجرمانية

[28] فرنسوا الأول عاش (كونياك 1494م - رامبوييه 1547م) وهو ملك فرنسا (1515 - 1547م). وكان عدواً لدوداً لشارلكان ملك اسبانيا.

[29] حالياً مقاطعة نمساوية تقع في الجهة الغربي منها.

[30] فيتوريو أميديو الثاني فرانشيسكو دي سفويا الملقب ثعلب سفويا (تورينو، 14 مايو 1666 - مونكاليري، 31 أكتوبر 1732) وكان أيضاً ملك صقلية بين عامي 1713 و1720 عندما أصبح ملك سردينيا.

[31] نهر أديجي نهر في شمال إيطاليا ينبع من مقاطعة بولزانو بالقرب من الحدود الإيطالية النمساوية ويصب في البحر الأدرياتيكي وهو ثاني أطول نهر في إيطاليا بعد نهر بو.

[32] الأمير يوجين من سافوي (18 من تشرين الأول 1663م – 21 من نيسان 1736م)، هو أحد أكثر القادة العسكريين نجاحاً في تاريخ أوروبا، مما جعله يتقلد أعلى مناصب البلاد في البلاط الإمبراطوري في فيينا.

[33] حصار تورينو : وقع حصار تورينو في أيار/مايو 1706 خلال حرب الخلافة الإسبانية، عندما هاجم ما يقرب من 44,000 جندي فرنسي-إسباني قلعة تورينو والتي كان يحميها حوالي 10,500 جندي من سافوي، والذين دافعوا عنها ببسالة حتى 7 سبتمبر تحت قيادة الأمير يوجين والدوق فيتوريو أميديو الثاني حتى أجبروا العدو على الانسحاب. استمر الحصار 117 يوما، وانتهى بتوقيع معاهدة أوتريخت لعام 1713 ومعاهدة راستات عام 1714. (تورينو مدينة تقع شمال غرب إيطاليا)

الموضوع السادس: الغزو للسيطرة ولأسباب أخرى

هناك نوعين مختلفين للغزو:

1. لمهاجمة دولة مجاورة
2. للهجوم على موقع بعيد عبر أرض قريبة مساحتها واسعة يقطنها أناس محايدون أو مشبوهون أو عدائيون.

من المؤسف أن حروب السيطرة تمنح الثراء، الاسكندر المقدوني وقيصر ونابليون بونابرت (في جزء من حياته المهنية) أثبتوا ذلك. على أية حال فهنالك قيوداً طبيعية لهذه الحرب لا يمكن تجاوزها دون تكبد خسائر كبيرة. قمبيز الثاني في النوبة[34] ودارا الأول[35] في سيكيثيا[36] والجنرال كراسوس[37] والإمبراطور يوليان (المرتد)[38] في فرثيا[39] ونابليون في روسيا[40] قدموا براهين دموية لهذه الحقائق. على أية حال حب السيطرة لم يكن الدافع الوحيد لنابليون؛ فموقعه الشخصي أو تنافسه مع انكلترا دفعه للمجازفة بغرض تحقيق التفوق والعظمة. لقد كان يحب الحرب فعلاً، لكنه أيضاً كان ضحية ضرورة النجاح في جهوده أو الإذعان لإنكلترا، قد يُقال أنه أُرسِل للعالم ليعلم الجنرالات والسياسيين ما عليهم أن يتجنبوه.

---

[34] قمبيز الثاني ملك الأخمينيين الفُرس ابن الشاه الإيراني قورش العظيم، فشل في حملته على النوبة لتهوره واستعداده السيء وسلوكه طريقا عبر الصحراء القاحلة التي أهلكت جيشه.

[35] دارا الأول، داريوس الأول (كما يسميه الفرس بداريوش الكبير هو الملك الأخميني الثالث حكم من 521 ق.م إلى 486 ق.م صهر سميردس، وابن ويشتاسب، وحفيد أرساميس. قاتل قبائل السكيثيين (وهم من البدو الرحل شمال إيران) الذين تمردوا عليه وهددوا طرقه التجارية بين سواحل البحر الأسود وآسيا الوسطى حتى أنهك جيشه نتيجة المسافات التي قطعوها والأمراض.

[36] سيثيا أو سقيثيا أو سكيثيا هي منطقة تاريخية سكنها السكيثيين من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد وتقع بين شرق أوروبا وأسيا الوسطى.

[37] ماركوس ليسينوس كراسوس (53 - c. 115 قبل الميلاد) قائد عسكري وسياسي روماني لعب دوراً رئيسياً في تحول الجمهورية الرومانية للإمبراطورية الرومانية. قاد حملة عسكرية على الإمبراطورية الفرثية (بلاد فارس) انتهت بهزيمته الساحقة ومقتله في معركة حران في تركيا.

[38] يوليانوس (يوليان المرتد - يوليانوس الجاحد) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية (361–363م) حاول يوليانوس المرتد أن يعيد احياء الوثنية في الإمبراطورية الرومانية في عام 361 لكنه فشل، قاد حملة على الساسانيين (لعل المؤلف أخطأ في تسميتهم فرثيين وهم سلالة فارسية أقدم من الساسانيين) انتهت بمقتله وهزيمة حملته.

[39] فرثية أو بارثية أو فارثية هم السلالة المؤسسة للإمبراطورية البارثية أو بارثيا هو اسم منطقة تاريخية في شمال شرق إيران تعادل تقريبا غرب خراسان عرفت بكونها المركز السياسي والثقافي للسلالة الأرشكية التي حكمت الإمبراطورية البارثية. التي حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمسا وسبعين وأربعمائة سنة (249 ق م- 226 م)

[40] الغزو الفرنسي لروسيا الذي كان في العام 1812 كان نقطة تحول في الحروب النابليونية. هذه الحرب تعرف في روسيا بالحرب الوطنية. تعرف الحرب الوطنية أيضا باسم "حرب 1812" كان هدف نابليون من الحرب هو إجبار قيصر روسيا ألكسندر الأول على وقف التجارة مع بريطانيا مما كان سيدفعها برأيه لقبول الصلح مع فرنسا. أما الهدف السياسي الرسمي من الحرب فكان تحرير بولندا من التهديد الروسي. لذلك أطلق نابليون اسم "الحرب البولندية الثانية" على حملته لكى يكسب تعاطف البولنديين وليوفر غطاء سياسيا للحملة. انتهت حملة نابليون بالهزيمة نتيجة لاتباع الروس سياسة تأخير المواجهة الحاسمة وإطالة أمد الحرب ومع هجمات الفلاحين الروس على الفرنسيين ونقص الإمداد والبرد القارس أدى كل ذلك إلى هزيمة الجيش الفرنسي.

علمتنا انتصاراته ما يمكن إنجازه بالسرعة والجرأة والمهارة، بينما علمتنا هزائمه كيف من الممكن تجنبها بالحكمة والتروي.

يعتبر الغزو دون سبب وجيه كما فعل جنكيز خان[41] جريمة ضد الإنسانية، لكن عندما يكون التحرك لدوافع حسنة أو مصالح كبرى فمن الممكن تبرير هذا التحرك أو حتى استحسانه. اختلف الغزو الإسباني عام 1808 عن الغزو في عام 1823 في الأهداف والنتائج، كان الغزو الأول هجوماً مخادعاً وظالماً وهدد وجود الأمة الإسبانية، وتسببت الحرب بتدمير من أشعلها. بينما الغزو الثاني الذي كان يقاتل مبادئ خطيرة، عزز المصالح العامة للدولة، وحقق انتصاراً أكثر سهولة وذلك لأن أهدافه لاقت تأييداً من عامة الشعب الإسباني.

تظهر هذه النماذج أنه ليس من الضروري أن يكون لكل الغزوات نفس الطابع، فقد تسبب الغزو الأول بسقوط نابليون، أما الغزو الثاني فكان سبباً لاستعادة العلاقات بين فرنسا وإسبانيا التي كان ينبغي لها أن لا تتغير[42].

نأمل أن يكون الغزو نادراً، ومع ذلك أن تهاجم خيراً من أن تتعرض لهجوم. ولنتذكر أن أفضل طريقة لكبت الرغبة بالسيطرة هي مقابلة التدخل بتدخل آخر في الوقت المناسب. ولينجح الغزو يجب أن يكون متناسباً في الحجم مع النتائج المرجوة ومع العوائق المتوقعة والتي يجب تجاوزها.

الغزو ضد شعب ثائر ومستعد لكل التضحيات يعتبر مجازفة خطيرة وخاصة إن كان الشعب مدعوماً من دولة مجاورة قوية، وتجلى ذلك بصورة واضحة في الحرب الإسبانية عام 1808 وكذلك في حروب الثورة الفرنسية عام 1792 و1793 و1794. في الحروب الأخيرة

---

41 . جنكيز خان (1227 - 1165) م وهو مؤسس وإمبراطور الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة بعد وفاته، توسعت بعد أن قتل الملايين من سكان البلاد التي يحتلها، وقد ارتكب مجازر كبيرة بحق المسلمين

42 حرب الاستقلال الاسبانية هي حرب نشبت عام 1808 حتى 1814 ضد فرنسا بقيادة نابليون على اثر احتلالها لإسبانيا، كان سبب الاحتلال لإزالة الاطراف الموالية لبريطانيا في البلاط الاسباني وتم على إثرها إزالة الملك شارلز السادس وولي عهده وتنصيب نابليون لأخيه جوزيف ملكا على اسبانيا ،وتم ذلك بالحيلة والغدر، إذ كانت إسبانيا أصلا في حلف مع فرنسا. تم إدخال القوات الفرنسية كذلك بالحيلة بزعم إيصال إمدادات للقوات الفرنسية التي كانت محتلة البرتغال واحتلت فرنسا على إثرها إسبانيا مما سبب موجة من المقاومة الشعبية التي عرفت في ذلك الوقت لأول مرة بحرب العصابات. كانت نهاية الحرب هزيمة فرنسا هزيمة مذلة خرجت على إثرها من إسبانيا.
أما عام 1823 دخلت فرنسا (الملكية) لإعادة الملك فيرناند الذي انقلب عليه الليبراليون ضمن حملة أبناء القديس لويس العسكرية ولم تلق مقاومة من قبل الشعب الاسباني.

صحيح أن فرنسا كانت مستعدة عسكرياً أفضل من إسبانيا، لكنها كانت بدون حليف قوي وبالتالي قامت كل أوروبا بمهاجمتها عن طريق البر والبحر.

تسبب الغزو الروسي لتركيا[43] (رغم اختلاف الظروف) في إحياء القومية [الوطنية]، وحرض الحقد الديني العثمانيين لحمل السلاح، لكن الدافع نفسه كان ضعيفاً بين اليونانيين الذين كانوا ضعف عدد العثمانيين. لو تم تنسيق المصالح بين الأتراك واليونانيين كما حدث بين فرنسا والألزاس[44] لكان الشعب موحداً وأقوى، ولكنه سيفتقد لعنصر التعصب الديني. في عام 1828 أثبتت الحرب قوة الأتراك على الحدود لوجود نخبة قواتها هناك، أما الداخل فكان ضعيفاً.[45]

حين لا توجد مخاوف عند غزو دولة مجاورة من سكان تلك الدولة فإن المبادئ الاستراتيجية تشكل المسار. الشعور المتداول أن غزو إيطاليا والنمسا وبروسيا كان سريعاً[46] (سيتم مناقشة النقاط العسكرية في الموضوع 29). **ولكن إن كان الغزو بعيداً ويتطلب الدخول لأراضٍ واسعة فإن نجاحه يعتمد على الدبلوماسية أكثر من الاستراتيجية.** الخطوة الأولى لضمان النجاح هو تأمين حليف مخلص وأمين ومجاور لدولة العدو، ويتكفل بإرسال التعزيزات من القوات، والأهم من ذلك أن يوفر قاعدة عمليات ومراكز تموين وملجأ آمن في حال حدوث كارثة، ويجب أن يكون الحليف حريصاً في السعي للانتصار لتقديم ما هو ممكن من أجل ذلك.

تعد الدبلوماسية عاملاً حاسماً في الحملات البعيدة، وأيضاً لها فوائد في الغزو القريب؛ ففي الغزو القريب أي تدخل عدواني قد يقضي على النجاح. غزو النمسا عام 1805[47] و1809[48] كان من الممكن أن ينتهي بشكل مختلف لو تدخلت بروسيا. غزو شمال ألمانيا

---

[43] سبب الحرب بين روسيا وتركيا هو دعم روسيا لحرب استقلال اليونان فنشبت الحرب الروسية التركية من 1828-1829. اندلعت الحرب بعد أن أغلق السلطان مضيق الدردنيل بوجه السفن الروسية وألغى اتفاقية أكرمان انتقاماً للمشاركة الروسية في معركة نافارين البحرية التي منعت العثمانيين من الحيلولة دون استقلال اليونان.

[44] ألزاس: هي منطقة ثقافية ولغوية وتاريخية وإدارية في شرقي فرنسا وعاصمتها هي ستراسبورغ. كانت تاريخياً محل نزاع مع ألمانيا.

[45] يقصد به السلطة العثمانية في اليونان كانت ضعيفة مما أدى لسهولة خروجها عن الحكم العثماني

[46] لعل المؤلف يقصد غزو نابليون لهذه الدول

[47] غزت فرنسا بقيادة نابليون النمسا رداً على انضمامها للحلف الثالث ضد نابليون واحتلالها لمملكة بافاريا الموالية لفرنسا

[48] وذلك في حرب التحالف الخامسة ، وهي حرب اندلعت عام 1809، بين تحالف يضم مجموعة من الدول أبرزها الامبراطورية النمساوية، والمملكة المتحدة ضد الامبراطورية الفرنسية والدول التابعة لها وحلفائها بقيادة نابليون الأول. وقعت الاشتباكات الرئيسية

عام 1807[49] (إذا جاز التعبير) لم يكن ليتم لولا موافقة النمسا[50].وفي روملي عام 1829 كادت أن تنتهي بكارثة لعدم وجود قيادة تمنع كل فرص التدخل بالمفاوضات[51].

الموضوع السابع: الحروب العقائدية

بالرغم من أن الحروب العقائدية والحروب الأهلية والحروب القومية [الوطنية] متداخلة، إلا أنها تختلف فيما بينها، وهذا الاختلاف يكفي لتقسيمها لأنواع مختلفة. قد تكون الحروب العقائدية داخلية أو داخلية وخارجية أو خارجية فقط (وهذا نادر). تعتبر الحروب العقائدية بين دولتين من حروب التدخل، يكون سببها رغبة أحد الطرفين في نشر معتقداته في دول الجوار، أو مذاهب ترغب في القضاء على غيرها، فتؤدي في كلتا الحالتين إلى التدخل. بالرغم من نشوء هذه الحروب من خلفيات مذهبية سواء كانت سياسية أم دينية، فإن هذه الحروب هي الأشد بؤساً؛ وذلك لأنها تثير في النفوس أشد الأحقاد (كالحروب القومية) فتصبح الحرب انتقامية وقاسية وبشعة.

الحروب الإسلامية والصليبية وحرب الثلاثين عاماً[52] وحروب العصبة[53] لها نفس الصفات. **عادة ما يتم اتخاذ الدين ذريعة لكسب القوة السياسية**، وكذلك الحرب ليست بعيدةً عن

بين فرنسا والنمسا، المساهمين الرئيسيين في الحرب، كانت معاهدة شونبرون الناتجة عن الحرب أقصى ما فرضته الامبراطورية الفرنسية على الامبراطورية النمساوية في الذاكرة الحديثة.

[49] وذلك في حرب التحالف الرابعة وهو صراع عسكري دام بين عامي 1806 - 1807 في أوروبا الغربية بدأ عندما تم تشكيل تحالف أوروبي للهجوم على إمبراطورية فرنسا بواسطة روسيا وبروسيا وساكسونيا وبريطانيا العظمى .في العاشر من أكتوبر عام 1806 تقدمت القوات الفرنسية ودمرت الجيش البروسي واستطاعت القوات الفرنسية دخول برلين في الخامس والعشرين من أكتوبر عام 1806، ولم تكتفي بذلك فقط، ولكن نابليون أمر قواته بالتقدم ومتابعة اللحاق بالقوات البروسية حتى وصلت القوات الفرنسية إلي أقصى شرق بروسيا والحدود الروسية، وهناك حارب الفرنسيون الروس في معارك ضارية غير حاسمة، حتى استطاع هزيمة الروس في معركة فريدلند مما حدا بالروس أن يطلبوا السلام، فجاءت معاهدتي تيسليت في يونيو عام 1807 وكانت معاهدة قاسية على بروسيا حيث تضمنت أن تقوم بروسيا بتسليم جميع الأراضي الموجودة على نهر الراين الأدنى.

[50] من الملاحظ أن المؤلف أشار إلى تورط النمسا في حرب التحالف الثالثة والخامسة دون تدخل بروسيا أدى إلى انكسارها، والعكس صحيح حيث انكسرت بروسيا في حرب التحالف الرابعة مع عدم ابداء النمسا لأي تحرك ضد نابليون.

[51] يقصد به الحرب الروسية العثمانية عام 1829، ولعل المؤلف يقصد بأن السلطنة العثمانية لم تنجح في منع تفاقم التدخلات التي ساعدت على انفصال اليونان. وروملي هي الإقليم العثماني في أوروبا وتشمل شبه جزيرة البلقان واليونان.

[52] حرب الثلاثين عاما هي سلسلة صراعات دامية مزقت أوروبا بين عامي 1618 و1648 م، وقعت معاركها بدايةً وبشكل عام في أراضي أوروبا الوسطى (خاصة أراضي ألمانيا الحالية) العائدة إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولكن اشتركت فيها تباعاً معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذاك العصر، فيما عدا إنكلترا وروسيا .في الجزء الثاني من فترة الحرب امتدت المعارك إلى فرنسا والأراضي المنخفضة وشمال إيطاليا وكاتالونيا .خلال سنواتها الثلاثين تغيرت تدريجياً طبيعة ودوافع الحرب : فقد اندلعت الحرب في البداية كصراع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهت كصراع سياسي من أجل السيطرة على الدول الأخرى، بين فرنسا وهابسبورغ، بل ويعد السبب الرئيسي في نظر البعض، ففرنسا الكاثوليكية تحت حكم الكردينال ريشيليو في ذلك الوقت ساندت الجانب البروتستانتي في الحرب لإضعاف منافسيهم آل هابسبورغ لتعزيز موقف فرنسا كقوة أوروبية بارزة، فزاد هذا من حدة التناحر بينهما، ما أدى لاحقا إلى حرب مباشرة بين فرنسا وإسبانيا.

ذلك. خلفاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم اهتموا بتوسيع إمبراطوريتهم أكثر من اهتمامهم بتعاليم القرآن.[54] وفيليب الثاني[55] (الذي كان متعصباً كاثوليكياً) لم يساند التحالف الكاثوليكي في فرنسا بغرض تقوية الكنيسة الرومانية.[56] نتفق مع م.أنسيلوت: أن سبب شن لويس التاسع الحملة الصليبية السابعة على مصر يتعلق بالتجارة مع الهند الشرقية أكثر من علاقته بتحرير ضريح المسيح عليه السلام[57].

في بعض الأحيان تكون العقيدة ليست ذريعة لشن الحرب فقط، بل تكون أيضاً حليفاً قوياً؛ لأنها تثير المشاعر في النفوس وتشق صف العدو في الحرب. على سبيل المثال: السويديون في حرب الثلاثين عام[58]، وفيليب الثاني في فرنسا[59] كان لديهم حلفاء في الدول التي غزوها أكثر من جيوشهم. **ولكن قد يحصل (كما في الحروب الصليبية والحروب الإسلامية) أن العقيدة التي شنت من أجلها الحرب بدلاً من أن تكسب حلفاء، ولّدت ألدَّ الأعداء في الدول التي غزوها، وبذلك تصبح الحرب رهيبة.**

فرص التأييد والمعارضة في الحروب العقائدية متساوية بشكل تقريبي. لعلنا نتذكر في عام 1792 كيف ظنت اتحادات المناصرين أنه بالإمكان نشر إعلان حقوق الإنسان والمواطن الشهير[60] في أرجاء أوروبا، وكيف فزعت الحكومات جميعها، ولجأت للعنف والسلاح لإطفاء نار الاحتجاجات. لم تكن هذه الوسائل موفقة؛ الحرب والشراسة وسائل غير مناسبة لقمع

---

[53] مصطلح حروب العصبة يشير إلى مجموعة الحروب المقدسة التي نظم حلفها البابا وكانت معظمها ضد الدولة العثمانية مثل حرب العصبة المقدسة عام 1538 وحرب العثمانية البندقية عام 1570- 1573 وحرب التركية العظمى عام 1684 وكذلك حرب عصبة كامبري التي كانت بين الدول الايطالية وأوربا الغربية بين عام 1508 وعام 1516.

[54] هذا حسب رأي المؤلف الكافر طبعا

[55]فيليب الثاني ملك إسبانيا (1598-1556)، وملك نابولي وصقلية (1598-1554)، ملك انكلترا القرين كزوج لماري الأولى (بين عامي 1554 - 1558، حاكم المقاطعات السبعة عشر (حاصلاً على مختلف ألقاب تلك الأراضي، مثل الدوق أو الكونت) من 1556 حتى 1581،ملك البرتغال والغرب (باسم فيليب الأول) من 1580 حتى 1598 وملك تشيلي من 1554 حتى 1566.

[56] تحالف الكاثوليكي لفرنسا ويعرف كذلك باسم العصبة المقدسة، كان فصيلاً رئيسياً خلال حروب فرنسا الدينية أسسه هنري الأول، دوق جيز عام 1576. أراد التحالف القضاء على البروتستانت، كالفينيون وهوغونوتيون على حد سواء، وتخليص فرنسا الكاثوليكية منهم خلال فترة الإصلاح البروتستانتي، واستبدال الملك هنري الثالث. حسب رأي المؤلف كان دعم فيليب الثاني ملك اسبانيا للتحالف من باب نيل المكاسب السياسية أكثر من التعصب المذهبي.

[57] الملك لويس التاسع (القديس) ملك فرنسا ،وفترة حكمه (25أبريل 1214-25 أغسطس 1270) تولى الحكم وعمره 12، قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر في عهد الأيوبيين ومُني بهزيمة منكرة في معركة المنصورة.

[58] غزت الإمبراطورية السويدية الإمبراطورية الرومانية المقدسة من عام 1630-1635 في عهد غوستاف الثاني أدولف البروتستانتي محققا تحولاً في حرب الثلاثين عاماً لصالح البروتستانت.

[59] حلفائه من الكاثوليكيين الفرنسيين

[60] إعلان حقوق الإنسان والمواطن هو الإعلان الذي أصدرته الجمعية التأسيسية الوطنية في 26 آب/أغسطس 1789. يعتبر الإعلان وثيقة حقوق من وثائق الثورة الفرنسية الأساسية وتُعرَّف فيها الحقوق الفردية والجماعية للأمة.

الشر الموجود داخلنا الذي يثور خلال فترات مؤقتة وقصيرة وشديدة العنف. **الوقت** هو العلاج الحقيقي لجميع المشاعر السيئة، ولجميع العقائد الفوضوية. قد تتحمل أمة متحضرة الخضوع لجماهير حزبية متهورة لوقت قصير، ولكن هذه الأعاصير سرعان ما تذهب وتتحير العقول. **إن محاولة كبت مثل هذه الغوغاء بقوة خارجية هي كمحاولة منع انفجار لغمٍ اشتعل بارده أصلاً. انتظار حدوث الانفجار ومن ثم ردم حفرة الانفجار أفضل بكثير من محاولة منع الانفجار وإهلاك النفس بهذه المحاولة.**

بعد دراسة شاملة للثورة الفرنسية، اقتنعت بأن الجيرونديين[61] والجمعية الوطنية لولا تهديدهم بغزو قوة أجنبية[62]، لم يكونوا ليجرؤوا أن يضعوا أياديهم المنجسة على الرأس الطاهرة للملك لويس السادس عشر. لم يكن ليُدمرَ الجيرونديون من قبل حزب الجبل[63]، بل من انقلاب [هزائم] دوموريز[64] وتهديدات الغزو. ولو تُركوا ليتصادموا مع بعضهم البعض كما يريدون، فمن المحتمل بدلاً من إفساح المجال للمؤتمر[65] الرهيب؛ كانت الجمعية الوطنية ستعود ببطء لإعادة مبدأ الملكية المعتدلة الحسنة المتفقة مع ضرورات وتقاليد فرنسا العريقة.

من وجهة نظر عسكرية هذه الحروب مرعبة؛ لأن القوة الغازية لا تواجه جيوش العدو فقط، بل تواجه شعباً ثائراً. قد يقال أن العنف من أحد الطرفين سيخلق دعم للغزاة من الطرف

---

[61] الجيروندِيين: تيار من حزب اليعاقبة الذي نشأ أثناء الثورة الفرنسية . وجاءت تسميتهم بهذا الاسم لأن معظم قادتهم ينتمون لمقاطعة جيروند . والجيروندِيون جمهوريون ، ويمثلون البراجوزِّية الطبقة المتوسطة ، ويؤمنون بالملكية الدستورية. ويخشون من سيطرة نوّاب باريس على فرنسا كلها . جاء الجيرونديون إلى الحكم بناء على دستور الجمهورية عام 1791م . وفي شهر يونيو من عام 1793م قام حزب الجبل عبر المؤتمر الوطني بإزاحة واعتقال الجيرونديين ، وبسبب الحملة ضد الجيرونديين هرب العديد من قادتهم إلى نورماندي حيث اعتادوا عقد اجتماعات سرية . وقعت الحكومة تحت سيطرة حزب الجبل وهم الجمهوريون يؤمنون بسيطرة باريس وبالجمهورية المطلقة. تم إعدام العديد من الجيرونديين بالمقصلة أثناء عهد الإرهاب في الثورة الفرنسية ، ولم يعد يمثلون قوة ، بل لم يعد لهم وجود يذكر في فرنسا.

[62] تدخلت عدة دول منها الإمبراطورية النمساوية وغيرها لغرض تحرير الملك من سلطة الجمعية الوطنية والثوار، على أثر ذلك ألقى الثوار القبض على الملك وأعدم بتهمة الخيانة وتعريض البلاد لغزو أجنبي.

[63] حزب الجبل هو التيار الأكثر تطرفا في حزب اليعاقبة نحو الجمهورية ، في مايو 1793 نجح قادة حزب الجبل بقيادة ماكسيميليان دي روبسبير في تهميش حزب الجيرونديين والسيطرة على الحكم حتى يوليو 1794. وقد اتسمت هذه الفترة من حكمهم بمستويات عالية من العنف السياسي، مما أدى ببعض المؤرخين -بعد يوليو 1794- بتسمية تلك الفترة من حكومة اليعقوبيين باسم" عهد الإرهاب."

في أكتوبر 1793، تم إعدام 21 عضواً بارزاً من الجيرونديين. وقيل إن الحكومة التي تدار بواسطة حزب الجبل أعدمت 17،000 من المعارضين في جميع أنحاء البلاد، بحجة قمع الحرب في فونديه و"التمرد الاتحادي"، ومنع أي تمرد أخر.

[64] دوموريز: قائد عسكري فرنسي مع جيش الثوار في حرب الثورة الفرنسية، ثم انقلب ضدهم وارتمى في أحضان النمساويين كان مرتبطاً بالجيرونديين ومبغوضاً من قبل حزب الجبل مما جعل وضع الجيرونديين في خطر لدى انقلابه.

[65] يقصد المؤتمر الوطني الفرنسي الذي قام تشكيل الجمعية الدستورية والتشريعية في فرنسا وانعقدت من 20 سبتمبر 1792 إلى 26 أكتوبر 1795. وقد تولى السلطة التنفيذية في فرنسا خلال السنوات الأولى من الجمهورية الفرنسية الأولى. كانت السلطة التنفيذية بحكم الأمر الواقع في يد لجنة السلامة العامة التابعة للمؤتمر.

الثاني بالضرورة، ولكن إذا كان الطرف الثائر يملك جميع الموارد العامة والجيوش والحصون والمدفعية، وكان مدعوماً من غالبية الشعب، فما جدوى دعم الطرف الذي لا يملك أي مقومات؟ ما الخدمة التي سيقدمها مئة ألف من الفنديين[66] ومئة ألف من الفيدراليين[67] للتحالف الأول[68] في عام 1793؟

لم يحتوي التاريخ إلا على مثال واحد عن صراع كالثورة الفرنسية، وقد أظهرت خطورة الهجوم على شعب شديد الغضب. على أية حال فإن الإدارة السيئة للعمليات العسكرية كان أحد الأسباب لهذه النتيجة الغير متوقعة. وقبل استخلاص الفوائد من هذه الحروب، فيجب التفكُّرْ في النتيجة التي كانت ستحدث (بعد هروب دوموريز) فيما لو قام الحلفاء (عوضاً عن تدمير واحتلال الحصون) بالإعلان لقادة الحصون أنهم لا ينوون إيذاء فرنسا ولا حصونها ولا جيشها الشجاع، ولو تقدموا نحو باريس بمائتي ألف جندي، لكانوا استعادوا الملكية وأيضاً لعادوا ومعهم حماية على الأقل من نفس العدد لانسحابهم نحو الراين. من الصعب تحديد ذلك. بما أن التجربة هذه لم تحدث أصلاً وكذلك لكون كل ذلك يعتمد على مسار الأمة الفرنسية والجيش. وهكذا المشكلة لها حلين معقدين على السواء. قدمت حملة التحالف عام 1793 الحل الأول الذي لم ينجح، ومن الصعب القول أن الحل الثاني كان سينجح. فقط التجربة كانت ستحدد ذلك.

الأسس العسكرية لمثل هذه الحروب تشبه بشكل كبير الحروب القومية مع الاختلاف في نقطة حيوية. **في الحروب القومية يجب احتلال الدولة وإخضاعها. الأماكن المحصنة تحاصر وتدمر وكذلك الجيوش تدمر، بينما في الحروب العقائدية إخضاع البلاد أمر أقل أهمية، ويجب أن توجه الجهود الكبيرة لإنهاء الحرب بسرعة دون التأخر بالتفاصيل، ويجب الحرص على عدم تهييج الشعوب واستفزازها مما يدفعها للمطالبة باستقلالها.**

---

[66] الفنديين: هم جماعة الثورة المضادة الموالين للملكية الفرنسية وثاروا ضد الجمهورية الفرنسية وكان معقلهم محافظة فندي (فونديه) غرب فرنسا فونديه ومطلة على المحيط الأطلسي. هذا الإقليم جزء من منطقة بايي دو لا لوار.

[67] الفيدراليين: تيار موالي للجيرونديين سعى لتحقيق الفدرالية متأثرين بدعوة الجيرونديين للحكم الفيدرالي وبدأوا بثورة بعد تصفية حزب الجبل للجيرونديين.

[68] التحالف الأول (1792-1797)هو أول تحالف من عدة ممالك أوروبية بهدف احتواء فرنسا الثورية . ولم تحقق أي دولة أهدافها من التحالف للنيل من الجمهورية الفرنسية الأولى.

يمكن الاستشهاد بالحرب في إسبانيا عام 1823 كمثال مضاد للثورة. صحيح أن الظروف كانت مختلفة قليلاً. فالجيش الفرنسي عام 1792 كان مؤلفاً من عناصر أكثر صلابة من الراديكاليين في إسلاديليون[69]. حرب الثورة الفرنسية كانت في بعض الأحيان حرب عقائد، وأحياناً أخرى حرب قومية، وأيضاً في بعض مراحلها كانت حرب أهلية، بينما الحرب الأولى في إسبانيا عام 1808 كانت حرب قومية تماماً، أما الحرب في إسبانيا عام 1823 كانت صراعاً جزئياً في المعتقدات وليست صراعاً قومياً، فأعطى ذلك فرقاً هائلاً في النتائج. بالإضافة لذلك نفّذ دوق أنغولم[70] حملته بشكل جيد، فبدلاً من الهجوم على الحصون عمل بما يتفق مع المبادئ المذكورة آنفاً. تقدم بسرعة نحو نهر إبرة[71]، وهناك قسّم قواته للسيطرة (عند مصادر العدو) على جميع عناصر قوة العدو، وقاموا بذلك بشكل آمن حيث كانت محفوظة من قبل السكان. لو أنه تمسك بأوامر الوزارة في السيطرة على البلاد والحصون بين النهر وجبال البرانس[72] بشكل ممنهج بغرض توفير قاعدة عمليات فمن الأرجح أنه كان سيفشل، أو على الأقل لأصبحت الحرب طويلة الأمد وتحولت إلى حرب دموية، وذلك بإثارة الروح القومية لاحتلال الأرض بشكل مشابه للحال في عام 1807.

كان متشجعاً بالاستقبال الحار من الشعب، فأدرك أن العملية سياسية أكثر من كونها عسكرية، وأن الأمر يقتضي إنهاء الأمر بسرعة. في ثلاثة أشهر وصل الجيش إلى أسوار قادس[73].

إذا كانت الأحداث في شبه الجزيرة الإيبيرية قد أثبتت أن القيادة كانت غير قادرة على استثمار النجاح لإيجاد ترتيب مناسب ومتين للأوضاع؛ فإن الخطأ ليس في الجيش ولا في

---

[69] إسلاديليون: منطقة واقعة بين بلدة قادس وبين شبه الجزيرة الإيبيرية، تحصن فيها وفي قادس الليبراليون الإسبان عام 1823 لمواجهة الجيش الملكي الفرنسي حيث كانوا قد سجنوا الملك الإسباني الذي انقلبوا عليه الملك فيرناندو السابع.

[70] دوق أنغولم: هو لويس التاسع عشر اسمه لويس أنطوان (6 أغسطس 1775 - 3 يونيو 1844) كان الابن الأكبر لتشارلز العاشر ملك وآخر ملك من سلالة دوفين من فرنسا 1824-1830. وكان من الناحية الفنية ملك فرنسا و نافار لمدة أقل من 20 دقيقة قبل أن يتنازل عن العرش، بسبب تنازل والده خلال ثورة يوليو عام 1830. قاد الفيالق الفرنسية في حرب 1823 في اسبانيا وانتصر فيها في معركة تروكاديرو.

[71] نهر إِبْرُه أكثر أنهار إسبانيا منسوبا. يبلغ طوله 928 كم تبلغ مساحة حوضه 80.093 كم². يقع في شمال شرقي إسبانيا ينبع من جبال القلاع ويجرى نحو الجنوب الشرقي على طول حضيض جبال البرانس مارا بسرقسطة ليصب في بحر الظلمات بدلتا واسعة.

[72] جبال البرانس، البيريني أو البرينيو سلسلة جبلية تقع جنوب غرب أوروبا، بين فرنسا وإسبانيا وتمثل الحدود الطبيعية بينهما. تمتد لمسافة قدرها 430 كلم من خليج بسكاي بالمحيط الأطلسي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق.

[73] غادِش أو قادس واحدة من أعرق المدن الإسبانية الساحلية في جنوب الأندلس وهي عاصمة مقاطعة قادس ومبنية على شبه جزيرة ضيقة وطويلة تمتد إلى داخل خليج

قياداته، بل في الحكومة الإسبانية التي خضعت للآراء الرجعية الباطشة الغير قادرة على الارتقاء بمهمتها. فيرناندو السابع[74] (الذي هو الفيصل بين التيارين العظيمين المتصادمين) رمى نفسه على نحو أعمى في أيادي من يزعمون تبجيلهم العميق لعرشه.[75] ولكن في حقيقتهم هم يريدون استغلال سلطته الملكية لتنمية إنجازاتهم الخاصة بغض النظر عن العواقب، وبقيت الأمة منقسمة بين معسكرين متصادمين، ولم يكن من المستحيل تهدئتهما والإصلاح بينهما مع مرور الوقت. ولقد وقع صدام جديد بين هذين المعسكرين كما توقعت في فيرونا[76] عام 1823. درس قاسي يتعلم منه الجميع أنه لن يُترَك أحد ليتمتع بهذه الأرض الجميلة البائسة. بالرغم من أن التاريخ لم يخلو من الأمثلة التي تثبت أن ردّات الأفعال العنيفة (أعنف من الثورات) ليست عناصر بناء وجمع. اللهم ابعث لنا من هذا الصراع العنيف ملكية قوية ومحترمة، تقف من كل الأطراف على مسافة واحدة وتعتمد على جيش منضبط وتقوم على المصالح العامة للبلاد، ملكية تستقطب الدعم لهذه الأمة الإسبانية العويصة، التي محاسنها ليست أقل من مساوئها، التي كانت دائماً مشكلة لمن كان في أفضل موقع لمعرفتها.

الموضوع الثامن: الحروب القومية [الوطنية]

أشرنا سابقاً في الحروب القومية في الكلام عن الغزو، وهي أشد أنواع الحروب جميعها. ينطبق هذا الاسم فقط على الحروب التي تُشَن على شعب موحد أو ضد فئة كبيرة منه فيدفعهم الشعور النبيل والتصميم للحفاظ على استقلالهم. في هذه الحرب يصبح كل شبر من الأرض مُتنازَعٌ عليه، الجيش لا يملك إلا أرض معسكره وإمداداته لا تأتي إلا بحد السيف (بالقوة)، وقوافله في كل مكان مهددة أو يتم أسرها.

حدوث الثورة الشعبية التلقائية [العفوية] أمرٌ نادر، رغم ما فيها من السمو والنبل التي تثيران إعجابي، فإن العواقب رهيبة جداً إلى درجة أني لا أرغب برؤية هذا المشهد أبداً، وذلك

[74] فيرناندو السابع: ملك إسبانيا، وبسببه حدث غزو إسبانيا عام 1823، كان مدعوماً من الملكية الفرنسية في ذلك الوقت وهذه الحرب أعادته لحكم إسبانيا بعد أن حرروه من قبضة الإسبان الليبراليين

[75] يقصد الملك لويس الثامن عشر ملك فرنسا

[76] فيرونا: بلدة إيطاليا تقع في شمال إيطاليا

لمصلحة الإنسانية. يجب أن لا يُلتبَس بين الثورة وبين الدفاع القومي [الوطني] التابع لمؤسسات الدولة والموجه من الحكومة.

هذا النهوض قد ينتج من الأسباب الأشد تناقضاً، قد يثور العبيد [الأقنان][77] في الجملة استجابة لنداء حكومتهم وأسيادهم، متأثرين بالمحبة النبيلة لبلادهم وملوكهم حيث يعتبروهم كقدوات. وبشكل مشابه يتسلح الشعب المتعصب دينياً بتحريض من القساوسة، أو الشعب المتحمس لمعتقداته السياسية، أو يتم تحريضه بالحب المقدس لمؤسساته حيث يتحرك بسرعة لملاقاة الأعداء للدفاع عن أعز ما يملك.

السيطرة على البحار لها أهمية كبيرة في نتائج الغزو القومي. إذا كان الشعب يمتلك شريطاً طويلاً ساحلياً، وكانوا أسياد البحار أو على تحالف مع دولة ذات قوة بحرية كبيرة؛ فإن قوتهم ستتضاعف خمسة مرات، ليس بسبب سهولة تموين تمردهم أو سهولة إنذارهم عن جميع نقاط عدوهم التي يسيطرون عليها فقط، ولكن حتى للصعوبات التي سيواجهها الأعداء في تموينهم عبر البحار.

طبيعة البلاد تساهم في تيسير سبل الدفاع القومي. في البلاد الجبلية الشعب دائماً هو الأقوى، وبعد ذلك تأتي البلاد المغطاة بمساحات واسعة من الغابات.

مقاومة السويسريين للنمسا ولدوق بوروغندي[78]، ومقاومة الكتالونيين في إسبانيا عام 1712[79] وعام 1809[80]، والصعوبات التي واجهها الروس في إخضاع قبائل القوقاز، وأخيراً محاولات التمرد المتكررة للتيروليين (قاطني مقاطعة تيرول في النمسا). كل هذه النماذج تظهر بوضوح أن قاطني المناطق الجبلية دوماً قاوموا لفترات أطول من قاطني مناطق السهول؛ ذلك لاختلاف الخصائص والأعراف والتقاليد والاختلاف في الخصائص الطبيعية للبلاد.

---

77 هم العبيد الفلاحون في الأرض الإقطاعية

78 بوروغندي: منطقة تاريخية كانت مؤلفة من أربع محافظات، تقع حاليا في وسط فرنسا

79 وذلك في حرب الخلافة الإسبانية

80 وذلك في حرب شبه الجزيرة الإيبيرية

ونخلص مما سلف أن شُعَب الجبال والغابات الكثيفة والأراضي الصخرية تيسر هذا النوع من الدفاع. البوكاج[81] في فندي (الشهيرة جداً) تثبت أن أي أرض تسهل الدفاع القوي حتى لو كانت مقسمة بأسوار من الأشجار والخنادق أو القنوات فقط.



البوكاج

الصعوبات التي تعترض الجيوش في الحروب العقائدية كثيرة جداً، وكذلك في الحروب القومية، وتجعل الإدارة الشاملة لهذه الحروب صعبة جداً. فالأحداث التي ذكرناها للتو وصراع هولندا مع فيليب الثاني[82] وأمريكا مع إنكلترا تقدم براهين قاطعة لحقيقة هذه الصعوبات. لكن الصراعات الأشد هولاً كان صراع فيندي مع الجمهورية الفرنسية وصراع البرتغال وإسبانيا وتيرول مع نابليون[83]، وأخيراً صراع شبه جزيرة مورية (جنوب اليونان) مع الأتراك، وصراع نافاري (منطقة شمال إسبانيا) مع الأميرة كريستينا، هذه الصراعات كشفت عن نماذج أكثر إثارة للصدمة.

تتعاظم الصعوبات عندما يكون الشعب مدعوماً من قبل نواة قوة أساسية منظمة. في حين يمتلك الغزاة جيشاً واحداً، يمتلك أصحاب الأرض جيشاً وشعباً مسلحاً بأكمله أو معظمه. ويصنعون وسائل للمقاومة من كل شيء. في هذه الحالة يكون كل الشعب متفق على عدو

---

[81] البوكاج: هي الأرض الخليطة من الغابات والمراعي

[82] الثورة الهولندية (1568- 1648) كانت ثورة ناجحة للسبع مقاطعات البروتستانتية الشمالية الكبرى في البلاد الواطئة ضد حكم الملك فيليب ملك الروماني الكاثوليكي، الذي كان قد ورث المنطقة (السبعة عشر محافظة) من دوقية بورجوندي البائدة. (انضمت المحافظات الجنوبية الكاثوليكية في البداية للثورة وانضمت فيما بعد إلى إسبانيا) و قد تصاعد "صدام الثقافات" الدينية تدريجيا على شكل موجات من العنف ضد قمع ملك هابسبورغ. لقد أدت هذه التوترات إلى تشكيل الجمهورية الهولندية المستقلة. وكان وليام أورانج هو أول زعيم، تبعه عدد من ذريته ومعارفه. الأقاليم نفسها.

[83] التمرد التيرولي عام 1809 هو تمرد من الفلاحين في مقاطعة تيرول بقيادة أندرياس هوفر ضد احتلال وطنهم من قبل القوات الفرنسية والبافارية في سياق حرب التحالف الخامسة ضد نابليون الأول .

واحد، حتى الغير مقاتلين لهم مصلحة في إهلاك العدو والتعجيل بذلك بكل وسيلة متاحة. أما الجيش الغازي فبالكاد يمسك الأرض التي يعسكر فيها، وكل شيء خارج حدود المعسكر عدو، وتتضاعف الصعوبات آلاف المرات في كل خطوة يخطوها خارج المعسكر.

يصبح اجتياز هذه العوائق من المعجزات عندما تكون البلاد ذات طبيعة صعبة، يعرف سكانها المسلحين أصغر الطرق فيها وإلى أين تؤدي، إضافة إلى أنهم يملكون أقارب وأصدقاء يساعدونهم في كل مكان. كذلك القادة يعرفون البلاد بشكل جيد، ويعلمون بشكل فوري أي تحرك للغزاة، وبإمكانهم استعمال أفضل الوسائل لإحباط مخططات العدو. بينما الغزاة أشبه بالرجل الأعمى، حيث لا معلومات لديهم عن تحركات السكان المسلحين، وليسوا في وضع يسمح لهم بإرسال مفارز للحصول على المعلومات، ولم يبقى لديهم وسيلة للحصول على المعلومات سوى باستخدام السلاح، ونسبة قليلة من الأمان حيث توجد حشود أرتاله؛ ولذلك تفشل جميع إعداداته.

وعندما يقوم الغزاة بتحركات مرسومة بحذر شديد، وتقدم سريع جداً ومتعب، ويظن قائد الغزاة أنه على وشك إنجاز مهمته، يتفاجأ بضربة رهيبة، ولا يجد أي علامة على تواجد العدو سوى النيران في معسكره. بينما يقوم هو بالهجوم على طواحين الهواء (مثل دونكيشوت) فإن عدوه على خطوط مواصلاته يبيد مفارز حمايتها، ويباغت قوافله ومراكز تموينه، ويشن حرب كارثية على الغزاة مما يضطره للاستسلام مع مرور الوقت.

في إسبانيا كنت شاهداً على مثالين بشعين من هذا النوع، ذلك حينما تم تبديل فيالق ميشال نيي[84] مع فيالق جان دو ديو سول[85] في لاكورونيا[86]، فخيمت بسرايا المدفعية التي تجرها الأحصنة بين بيتانزوس[87] ولاكورونيا، وسط أربعة ألوية، وبعيدة عن المخيم مسافة تقدر من 2 إلى 3 فرسخ[88]، ولم نشاهد على مسافة 50 ميلاً[89] أي قوات إسبانيّة. كان سول يحتل

---

[84] ميشال نيي دوق إلشينغين و أمير موسكوفا و مارشال الدولة الفرنسية. ولد في العاشر من كانون الثاني يناير عام 1769 في سارلويس في منطقة لورين (مقاطعة موزيل عام 1790 وجزء من سارلاند ألألمانية حاليا).قتل رميًا بالرصاص في السابع من كانون الثاني يناير عام 1815 في باريس. عسكري فرنسي و قائد خلال حروب الثورة و الإمبراطورية.

[85] جان دو ديو سول (29 آذار 1769-16 تشرين الثاني 1851): عسكري وسياسي فرنسي. دوق دالماسي، وماريشال إمبراطوري. كان واحداً من ماريشالات نابليون القلائل القادرين على قيادة جيش بعيدا عن الامبراطور.

[86] لاكورونيا: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا، هي عاصمة مقاطعة لاكرونيا، وهي أيضاً عاصمة منطقة غاليسيا.

[87] بيتانزوس: هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

[88] في ذلك الوقت كان طول الفرسخ 3.25 إلى 4.68 كم

[89] 80كم تقريبا

مدينة سانتياغودي كومبوستيلا[90]، وفرقة موريس ماثيو[91] كانت في فيرول[92] ولوغو[93] وفرقة مارشان[94] في لاكورونيا وبيتانزوس. وفي إحدى الليالي اختفت سرايا المدفعية التي تجرها الأحصنة بكامل طواقمها من جنود وأحصنة. ولم نتمكن من معرفة ما حدث لهم. تمكّن عريف واحد مصاب من الهروب، وأبلغنا أن الفلاحين يقودهم الناسكين والقساوسة قاموا بالهجوم عليهم مما اضطرهم للهروب. بعد أربعة أشهر قادَ ميشال نيي فرقة لاحتلال أستورياس[95] من جهة وادي نافيا[96]، بينما خرج كيلرمان[97] من ليون[98] على طريق أوفيدو[99]. تقدم جزء من فيالق الجنرال الإسباني لارومانا[100] التي كانت تحمي أستورياس، خلف المرتفعات العالية المحيطة بوادي نافيا بمسافة لا تزيد عن فرسخ واحد من أرتالنا، وذلك دون أن يعرف ميشال نيي أي شيء عن ما يحدث. وبينما كان يدخل خيخون[101]، هاجم جيش لارومانا قلب أفواج فرق مارشان التي كانت متوزعة لحماية غاليسيا[102]. وبالكاد استطاعوا الهروب وذلك بفضل العودة العاجلة لميشال نيي إلى لوغو. أظهرت هذه الحرب آلاف الحوادث الصادمة كهذه. لم يكن ليكفي كل ذهب المكسيك للحصول على معلومات استخباراتية موثوقة لصالح فرنسا، إلا بقدر ما يستدرجها للوقوع في فخاخ أكثر.

لا يمكن لجيش (مهما كان منضبطاً) أن يواجه بشكل ناجح أسلوب قتالي مطبق من قبل أمة عظيمة، إلا إذا كان الجيش قوياً بما يكفي لمسك جميع النقاط الأساسية في البلاد، ومغطياً لجميع الطرق، وبنفس الوقت يجهز قوة فعالة كافية للقضاء على العدو أينما ظهر. إذا كان

---

90 هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا .

91 ديفيد-موريس-جوزيف ماثيو دي سانت-موريس دي لا ريدورت أو موريس ماثيو (20 فبراير 1768 - 1 مارس 1833) أصبح قائد فرقة في جيوش نابليون.

92 فيرول: هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

93 لوغو: إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

94 لويس-جوزيف-نارسيس مارشان (ولد في باريس، 28 مارس 1791، توفي في، 19 يونيو 1876) كان الخادم المخلص نابليون بونابرت والمرشح لخلافته من بعده.

95 أستورياس: منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا عاصمتها هي مدينة أوفييدو.

96 نافيا: هو نهر في شمال اسبانيا يتدفق من الجنوب إلى الشمال من غاليسيا حتى أستورياس. تصريفها في خليج بسكاي من خلال مصب يسمى ريا دي نافيا.

97 فرانسوا إيتيان دي كيلرمان (4 أغسطس 1770 - 2 يونيو 1835) كان جنرال سلاح الفرسان الفرنسي عُرف بجرأته ومهارته خلال الحروب النابليونية.

98 تقع في مقاطعة قشتالة وسط شمال إسبانيا .

99 أوفيدو: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا تأسست في القرن الثامن ميلادي، وهي عاصمة منطقة أستورياس.

100 دون بيدرو كارو رومانا (2 أكتوبر 1761 - 23 يناير 1811) جنرال اسباني في حرب شبه الجزيرة الإيبرية

101 خيخون: هي مدينة تقع في منطقة أستورياس شمال غرب إسبانيا، تطل على بحر كانتابريا.

102 غاليسيا منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا. عاصمتها هي مدينة سانتياغو دي كومبوستيلا

للعدو جيشاً نظامياً ذا حجم معتبر ليكون نواة لتستقطب الشعب في كل مكان، فأي قوة كافية للتغلب عليهم في كل مكان وضمان تأمين الطرقات ضد بضعة أفراد؟

يجب الاعتناء بدراسة الحرب في شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك لمعرفة جميع العوائق التي من الممكن أن تواجه الجنرالات وقواتهم الشجاعة في احتلال أو فتح بلاد جميع سكانها مسلحين، وما هي المتاعب التي واجهت قوات نابليون وضباطه (ماسينا[103] وسول ونيي وسوجت[104]) وما قدموا من صبر وشجاعة للحفاظ على المكتسبات وعلى أنفسهم على مدار ستة سنوات أمام ثلاثمائة أو أربعمائة ألف مسلح من الإسبان والبرتغاليين مدعومين بالجيوش النظامية لولنغتن وبيرسفورد وبليك ولارومانا وكوستا وكاستافيوس وريدنج وبايستروس[105].



[103] أندريه ماسينا (6 مايو 1758 - 4 أبريل 1817) كان قائدا عسكريا فرنسيا خلال الحروب الثورية الفرنسية والنابليونية.

[104] لويس-غابرييل سوشيت (2 مارس 1770 - 3 يناير 1826)، دوق ألبوفيرا، هو مارشال من فرنسا وأحد جنرالات نابليون الأكثر براعة.

[105] هؤلاء ضباط إسبانيون وبريطانيون قادوا جيوشا لمقاتلة الفرنسيين في إسبانيا خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية

إذا كان النصر ممكناً في هذه المعركة، فإن الأسلوب التالي من المرجّح أن يحقق هذا النصر. قم بتجهيز قواتك عدداً وعدة بشكل يتناسب مع العوائق والمقاومة المحتملة لمواجهتها، قم بتهدئة الغضب الشعبي بكل وسيلة متاحة، واستنفذ هذا الغضب بالوقت والصبر، وأظهر لهم المجاملة واللباقة، ووفّق بين الشدة واللين، وتعامل معهم بالعدل. إن ما قام به هنري الرابع في حرب العصبة[106]، والمارشال بيرويك في كتالونيا[107]، وسوجت في أراغون وفالنسيا[108]، وهوتش في فونديه[109] يعتبر من النماذج ذات الأسلوب الناجح، ويمكن أن يطبق هذا الأسلوب حسب الظروف وبفرص متساوية في النجاح. إن النظام والانضباط البديعين في جيشي ديفيتش وفاسكيفيتش في الحروب الأخيرة، كانتا نماذج جيدة، ولم تكن أقل نجاحاً من مشاريعهم ومصالحهم الخاصة.

العوائق الهائلة التي تواجه القوات الغازية في مثل هذه الحروب، دعت بعض المفكرين أو المنظرين أن يأملوا ألاّ تحدث مثل هذه الحروب، وبذلك ستصبح الحروب نادرة والفتوحات أصعب، مما يقلل من إغراء هذه الفتوحات للقادة الطموحين. هذا التفكير منطقي أكثر من كونه جامد [متحجر]. وحتى نُسلّم بجميع هذه العواقب؛ فمن الضروري دائماً توفر القدرة على تحفيز الشعب لحمل السلاح، ومن الضروري أيضاً الاقتناع أن حروب المستقبل هي حروب احتلال فقط، فكل شرعية عبر الحروب الثانوية (التي هي لغرض الحفاظ على التوازن السياسي أو الدفاع عن المصالح العامة) لن تحدث مرة ثانية، وإلا فكيف نعرف متى وكيف نحمّس الشعب لحمل السلاح لخوض معركة قومية؟

---

[106] هنري الرابع ملك فرنسا (13 كانون الأول / ديسمبر 1553 - 14 أيار / مايو 1610)، حكم مملكة فرنسا من عام 1589 إلى 1610، كان من أفضل الملوك الذين تربّعوا على عرش فرنسا، وقد بذل قصارى جهده للتوفيق بين الكاثوليك والبروتستانت في المملكة التي مزقتها الحرب الأهلية التي ورثها عام 1589م. وكان شخصياً من البروتستانت، ولكنه في عام 1593م اعتنق المذهب الكاثوليكي في محاولة لرأب الصدع . وكانت تلك إحدى السبل لوضع حدَّ للحرب الأهلية، ذلك بأن البروتستانت كانوا راضين عن تحّوله إلى كاثوليكي. ومع علمهم أنه سيسمح لهم ببقائهم على معتقدهم ، فإن الكاثوليك شعروا بأنهم لا يستطيعون الوثوق به. وفي عام 1598م أصدر مرسوم نانت الشهير الذي منح بموجبه الحقوق للبروتستانت أو الهوغونو كما يُعرفون في فرنسا.

[107] وذلك في حصار برشلونة بين عامي 1713 و1714 وهي معركة وقعت في ختام حرب الخلافة الإسبانية(1714-1701) ، أدت إلى إقصاء وهزيمة الإمبراطور الروماني المقدس كارل السادس) الذي تدعمه مملكة بريطانيا العظمى وهولندا (على يد فيليب الخامس ملك إسبانيا) الذي تدعمه فرنسا(، لتحسم صراعاً سياسياً طويلاً على العرش الإسباني. وكان بيرويك كان قائد الجيش الإسباني، وفاوض الكتالونيين أثناء الحصار مما أقنعهم بالاستسلام في الأخير.

[108] أسقطهما مارشال سوجت بالحصار والمفاوضات خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية وتقعان شمال شرق اسبانيا

[109] قاد الجنرال هوتش الجيش الثوري لقمع الملكيين في فونديه 1795 وقضى عليهم

على سبيل المثال: إذا عبر مئة ألف جندي ألماني نهر الراين ودخلوا فرنسا، وذلك لمنع فرنسا من احتلال بلجيكا، دون وجود أي مشروع ذا طابع آخر، فهل من الممكن حدوث حالة تستوجب حمل الشعب رجالاً ونساءً وأطفالاً للسلاح في مقاطعات الألزاس واللورين[110] وشمبينيا[111] وبورغندي؟ وجعل كل مدينة مسورة سرقسطة ثانية[112]؟ إن لم يقم الشعب بذلك فإن الألمان كنتيجة للانتصار سيحتلون هذه المقاطعات. هل من الممكن أن نقول أنهم لن يسعوا بعد ذلك لإعلان امتداد سلطانهم على جزء من هذه المقاطعات، حتى لو لم يفكروا في هذا الأمر منذ البداية؟

صعوبة الإجابة على هذه الأسئلة يبدو أنه جدالٌ لصالح الحرب القومية. لكن ألا يوجد وسائل أخرى للتصدي للغزو دون التسبب بانتفاضة شعبية وحرب إبادة؟ ألا يوجد أسلوب وسطي في هذه الصراعات بين أسلوب القتال الشعبي وبين أسلوب القتال بالجيوش التقليدية؟

ألن يكون كافياً حتى يكون دفاع البلاد متيناً أن نقوم بتنظيم ميليشيا، وتكون موحدة، وتُستدعى من الحكومات للخدمة، وتقوم بدور الشعب في الحروب، وهذا التنظيم يضع حداً لوحشيتها؟

أنا أجيب عن ذلك بنعم، وبتطبيق هذا النظام المختلط لهذه الحالات المذكورة سابقاً، أنا أضمن أن 50.000 جندي فرنسي نظامي مدعوم بحرس وطني [قومي] في المناطق الشرقية سيتغلبون على الجيش الألماني الذي عبر جبال الفوج[113]، وبسبب تقليص عدد الجنود إلى 50.000 نتيجة المفارز الكثيرة. وعند الاقتراب من نهر الميز أو الوصول إلى أراغون سيكون تعداد الجيش الفرنسي 100.000 جندي بسبب القوات الاحتياطية الوطنية.

لتوفير هذه الوسيلة يجب أن نولي الاهتمام بتحضير احتياطي وطني جيد للجيش، يكون أقل تكلفة في السلم، ويضمن الدفاع عن البلاد في حالة الحرب. هذا النظام استخدم من قبل فرنسا عام 1792 وقلدته النمسا عام 1809 واستخدمته أيضاً ألمانيا عام 1813.

---

[110] مقاطعة شرق فرنسا لها حدود مع بلجيكيا وألمانيا ولوكسمبورغ

[111] مقاطعة تقع شمال شرق فرنسا

[112] حاصرت فرنسا سرقسطة خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية أواخر 1808 حتى فبراير 1809 وكان حصاراً دموياً نتج عنه أكثر من 60000 قتيل من الطرفين

[113] جبال الفوج هي مجموعة من الجبال المنخفضة في شرق فرنسا، بالقرب من الحدود مع ألمانيا. وهي تمتد على طول الجانب الغربي من وادي الراين وتأخذ اتجاهاً شمالياً وشمالياً شرقياً، وبشكل عام من بلفور إلى سافرنه.

ألخِّص هذا النقاش بالتأكيد على الأمر التالي، ودون أن نكون إنسانيين مثاليين أو على العكس من ذلك بأن نكون مرتزقة، بأن الرغبة في إقصاء حروب الإبادة من قانون الأمم والدفاع عن الأمم، يمكن أن تتحقق بواسطة الميليشيات المنضبطة وبمساعدة تحالفات سياسية جيدة، وهذا سيكون كافياً لضمان استقلالها.

كجندي يفضل الحرب النبيلة والصالحة على الاغتيال المنظم، وإذا كان من الضروري أن أختار، فأنا أقر بأني انحاز لصالح الحروب القديمة الصالحة، حيث كان الحرس الانكليزي والفرنسي يدعون بعضهم البعض بأدب لإطلاق النار، كما في معركة "فرونتينوي"[114]. مفضلاً هذا على الجيل الرهيب من القساوسة والنساء والأطفال بجميع أنحاء إسبانيا وهم يدبرون المكيدة لقتل الجنود المنعزلين.

الموضوع التاسع: الحروب الأهلية والحروب الدينية

عندما لا ترتبط الحروب الداخلية بصراعٍ خارجي، فهي على الأرجح ستكون نتيجة صدام في العقائد السياسية أو المذهبية الدينية. في العصور الوسطى كانت الحروب مرتبطة أكثر مع الصدام بين الأطراف الإقطاعية. الحروب الدينية من بين جميع الحروب هي الأشد بؤساً.

نستطيع تفهّم لجوء الدولة أو الحكومة إلى استخدام القوة ضد رعيتها أو مواطنيها إذا كان الغرض من ذلك القضاء على أي جماعة قد تضعف من سلطة الدولة، أمّا أن تقتل مواطنيها لتجبرهم على تلاوة صلواتهم باللغة الفرنسية أو اللاتينية، أو للاعتراف بسيادة حبر أعظم [بابا] خارجي فمن الصعب تقبّل ذلك.

لم يكن هناك ملك يُرثَى له أكثر من الملك لويس الرابع عشر، الذي ظلم الملايين من الصناع البروتستانت. تصبح الحروب الطائفية مرعبة ومريعة عندما تختلط بحروبٍ خارجية أو عندما تتحول إلى صراعات عائلية. يجب أن يكون تاريخ فرنسا في عهد العصبة درساً أبدياً للأمم والملوك. فمن الصعب تصديق أن النبلاء وأصحاب الشهامة خلال فترة حكم الملك فرنسيس الأول قد انحدروا خلال عشرين عام نحو حالة بائسة من الوحشية.

---

[114] فرونتينوي: معركة حدثت في بلجيكا عام 1745 بين انكلترا وفرنسا

إعطاء المواعظ في مثل هذه الحروب هو أمر عبثي. هناك قاعدة واحدة يتفق عليها كل المفكرين في مثل هذه الحروب وهي: من الواجب توحيد الطرفين المتنازعين لطرد المحتلين الأجانب من البلاد، وبعد ذلك يكون الصلح بين الطرفين بمعاهدة يتم فيها الاتفاق على الأمور أو الحقوق المتنازع عليها. ومن المؤكد أن تدخُّل قوة ثالثة في نزاع ديني غرضه فقط تحقيق أطماعها ومصالحها.

قد تحاول الحكومات التدخل بحسن نية لمنع انتشار مرض سياسي تهدد مبادئه الأمن الاجتماعي، وبالرغم أن هذه المخاوف مبالغ فيها، وعادة ما تكون مجرد تبريرات للتدخل، إلاّ أنه من الممكن أن تَعتَبر الدولة أن مؤسساتها مهددة من قبل هذا التوجه السياسي. لكن في النزاع ديني ليس الوضع كذلك؛ فيليب الثاني لم يكن لديه هدف من التدخل في علاقات التحالف الكاثوليكي أكثر من إخضاع فرنسا أو فكها منه.

الموضوع العاشر: الحروب المزدوجة وخطر خوض حربين في نفس الوقت

الحكمة الرومانية الشهيرة تدعو لعدم خوض حربين عظيمتين في نفس الوقت، وهذه الحكمة مشهورة جداً وقيّمة بما يغني عن شرحها وتوضيح المغزى منها.

قد تُجبر الدولة على خوض حرب ضد دولتين متجاورتين، إلّا أن موقفها سيكون سيء للغاية إن لم يكن معها حليف يساندها، وذلك تبعاً لأمنها الخاص وللحفاظ على التوازن السياسي. **من النادر أن يكون للدول المتحالفة ضد دولة واحدة نفس المصالح من خوض الحرب،** وأن تدخل كل تلك الدول بجميع طاقاتها ومواردها. وإذا كانت إحدى هاتين الدولتين تعمل كمساعد فقط فستكون الحرب عادية.

لويس الرابع عشر وفريدريك العظيم والإمبراطور ألكسندر ونابليون، خاضوا حروباً ضخمة ضد أوربا وهي موحدة ضدهم. عندما تحدث نزاعات كهذه نتيجة عدوان إرادي من الدولة، فهذا دليل على ارتكاب خطأ فادح من جانب الدولة التي دعتهم لمثل هذه الحرب، ولكن إذا نشبت الحرب نتيجة ظروف قاهرة حاكمة لا مفر منها، فيجب مقابلة هذا الوضع بالبحث عن التحالفات أو دول معارضة لمثل هذا العدوان، وبذلك ينشأ توازناً بين أطراف الصراع.

التحالف الكبير الذي تشكّل ضد لويس الرابع عشر اتخذ من تدخله في الشأن الداخلي الإسباني ذريعةً للتحالف ضده. إلّا أنّ السبب الحقيقي كان نتيجة لأعماله العدوانية السابقة التي نبّهت الدول المجاورة من خطره. من بين القوات الأوروبية المتحالفة ضد لويس الرابع عشر التي كان يستطيع مواجهتها فقط هي الحلف المخلص لناخب بافاريا، والقائد المتخبط دوق سافوي الذي سارع بالانضمام إلى أعدائه. استطاع فريدريك الاستمرار في حرب ضد أقوى ثلاثة ممالك في أوروبا، والذي ساعده في الاستمرار هو دعم إنكلترا، إضافة إلى خمسين ألف جندي من ستة دول حليفة له. **إلّا أن أقوى حليف له كان انقسام وغباء أعدائه.**

هاتين الحربين والحرب التي خاضها الإسكندر عام 1812 كان من المستحيل تجنبها. فرنسا جعلت أوروبا تقف على أناملها عام 1793، نتيجة الاستفزازات المتكررة من قبل نادي العاقبة، والأفكار الإنسانية للجيرونديين، التي تفاخرت أنها بدعم من أساطيل إنكلترا سيتحدّون جميع ملوك العالم. نتيجة هذه الحسابات الحمقاء انتفضت أوربا ضد فرنسا انتفاضة مرعبة، نجت منها فرنسا بأعجوبة.

يعتبر نابليون إلى حد ما الحاكم الوحيد المعاصر الذي خاض بإرادته حربين أو ثلاثة حروب كبيرة في نفس الوقت، وكانت حروبه ضد إسبانيا وإنكلترا وروسيا. في حربه مع روسيا توقّع مساعدة من النمسا وبروسيا، ناهيك عن تركيا والسويد التي اعتمد عليهما بشدة، لذلك فإن نابليون لم يكن يرى أنه كان مجازفاً أو متهوراً في مشروعه.

من الملاحظ أن هناك فرق كبير بين حرب تشن على دولة واحدة تساندها دولة ثالثة بدور مساعد، وبين حرب تشن ضد دولتين عظيمتين، وفي جهتين مختلفتين وتوظف كل طاقاتها ومواردها في هذه الحرب. على سبيل المثال: فإن حرب نابليون ضد النمسا وإسبانيا تساندهما إنكلترا كانت مختلفة تماماً عن الحرب ضد النمسا تساندها قوة احتياطية محدودة. تعتبر الحرب الأخيرة من الحروب العادية.

بناء على ما سبق، وبشكل عام يجب تجنب خوض حرب مزدوجة ما أمكن ذلك. وإذا حدث اعتداء من إحدى دولتين وكان سبباً لخوض حرب، فمن الحكمة تجاهل هذه الاعتداءات

التي صدرت من أحدهما لحين ظهور الفرصة المناسبة للتعامل مع هذه الاعتداءات. لكن هذه القاعدة لها استثناءات، فتسلسل القوى والمناطق واحتمالية إبرام تحالف لاستعادة التوازن (إلى حد ما) في القوى بين الأطراف كلها ظروف تؤثر على دولة مهددة. الآن أنجزنا واجبنا في توثيق هذه المخاطر وتبيان وسائل تداركها.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

السياسة العسكرية

لقد شرحنا في بداية الفصل الأول ما نعني بهذا العنوان. تتضمن السياسة العسكرية الإعدادات العقلية [الفكرية] المتعلقة بعمليات الجيوش. إذا كانت الاعتبارات السياسية التي تكلمنا عليها آنفاً أيضاً عقلية [فكرية]، فهناك أيضاً اعتبارات أخرى تؤثر إلى حدٍ ما في إدارة الحرب، وهي لا تنتمي للسياسة ولا للاستراتيجية ولا حتى للتكتيكات، بل نضعها تحت عنوان السياسة العسكرية.

يمكننا القول بأن السياسة العسكرية تتضمن جميع الإعدادات لأي حرب متوقعة، ما عدا الإعدادات التي تتعلق بفن الدبلوماسية والاستراتيجية، ولأن الإعدادات كثيرة فإن تفصيل كل إعداد منها بمقال منفصل سيجعل هذا الكتاب كبيراً جداً، وقد يخرج بنا عن المقصود من الكتاب، فليس المقصود كتابة مقالة عن كل موضوع منها، بل سنكتفي بالإشارة لعلاقاتها بالعمليات العسكرية.

في الواقع نضع في هذه الفئة حماس الأمة التي سنقاتلها، والنظام العسكري فيها، ووسائلهم الحالية واحتياطاتهم والموارد المالية وارتباطهم بحكومتهم أو مؤسساتهم، وأيضاً صفات قائدهم وقادة الجيوش وقدراتهم العسكرية، ومدى تأثير المجلس الوزاري أو المجلس الحربي[115] في العاصمة على عملياتهم، إضافةً إلى نظام الحرب المتوافق مع عمل هيئة أركانهم، والقوة المؤسسة من قبل الدولة وتسليحها والجغرافية العسكرية والإحصائيات الخاصة بالدولة المراد غزوها، وأخيراً مختلف الموارد والعوائق المحتمل ملاقاتها.

القاعدة الثابتة الوحيدة في مثل هذه المواضيع هي: أن على الحكومة جمع كل المعلومات المتعلقة بهذه المواضيع وعدم إغفال أي معلومة، ومن الضروري أخذ هذه المعلومات بعين الاعتبار عند ترتيب جميع الخطط. وسنضع النقاط الأساسية التي ينبغي لها أن توجه في هذا النوع من الإعدادات.

---

[115] المجلس الحربي: هي مجالس تُعقَد عادة في وقت الحرب لغرض تحديد مسار العمليات العسكرية. عادة ما يتم اتخاذ القرار فيها من قبل الجنرال الآمر ويتم نقل الأوامر عبر ضباط الأركان إلى الضباط المرؤوسين وفي بعض الأمور يتم التصويت.

الموضوع الحادي عشر: الإحصائيات العسكرية والجغرافية

من خلال الإحصائيات نستطيع أن نتعرف على عناصر قوة العدو وموارده العسكرية بصورة شاملة، بينما تتضمن الجغرافية التوصيف الطبوغرافي والاستراتيجي لمسرح الحرب بكل ما فيها من عوائق طبيعية أو اصطناعية التي يُحتمل مواجهتها، ومعاينة النقاط الحاسمة الدائمة المتواجدة على امتداد الحدود أو البلاد. يجب أن تُمنح هذه المعلومات لوزير الحرب وللجنرال الآمر ولرئيس الأركان بشكل فوري وإلا يوضع المقصر في ذلك تحت طائلة المسائلة والمحاسبة، لأن هذا التقصير قد يؤدي إلى تقديرات خاطئة في الخطط العسكرية، كما يحدث عادة في أيامنا هذه بالرغم من الخطوات المتقدمة التي قامت فيها الأمم المتحضرة لتطوير العلوم الطبوغرافية والجغرافية والدبلوماسية والإحصائية.

سأضرب مثالين كنت شاهد عليهما: في عام 1796 دخل جيش موريو[116] الغابات السوداء (بلاك فوريست)[117] وكان يتوقع أن يجد جبالاً شاهقة وشعاباً وغابات مرعبة، إلاّ أنه تفاجئ بعد تسلقهم منحدرات الهضبة المائلة نحو نهر الراين، أن هذه المنحدرات بنتوءاتها الصخرية كانت هي الجبال الوحيدة. وهذه البلاد من منابع نهر الدانوب حتى دوناوفورت[118] منطقة غنية طبيعياً وسهلية منبسطة.[119]

المثال الثاني في عام 1813: كان يَعتقد نابليون وجيشه أن التضاريس الداخلية لبوهيميا جبلية، لكن تبيّن له فيما بعد أنها الأكثر انبساطاً في أوروبا، وذلك بعد عبور حزام الجبل المحيط بها، ويمكن عبورها بمسير متصل[120].

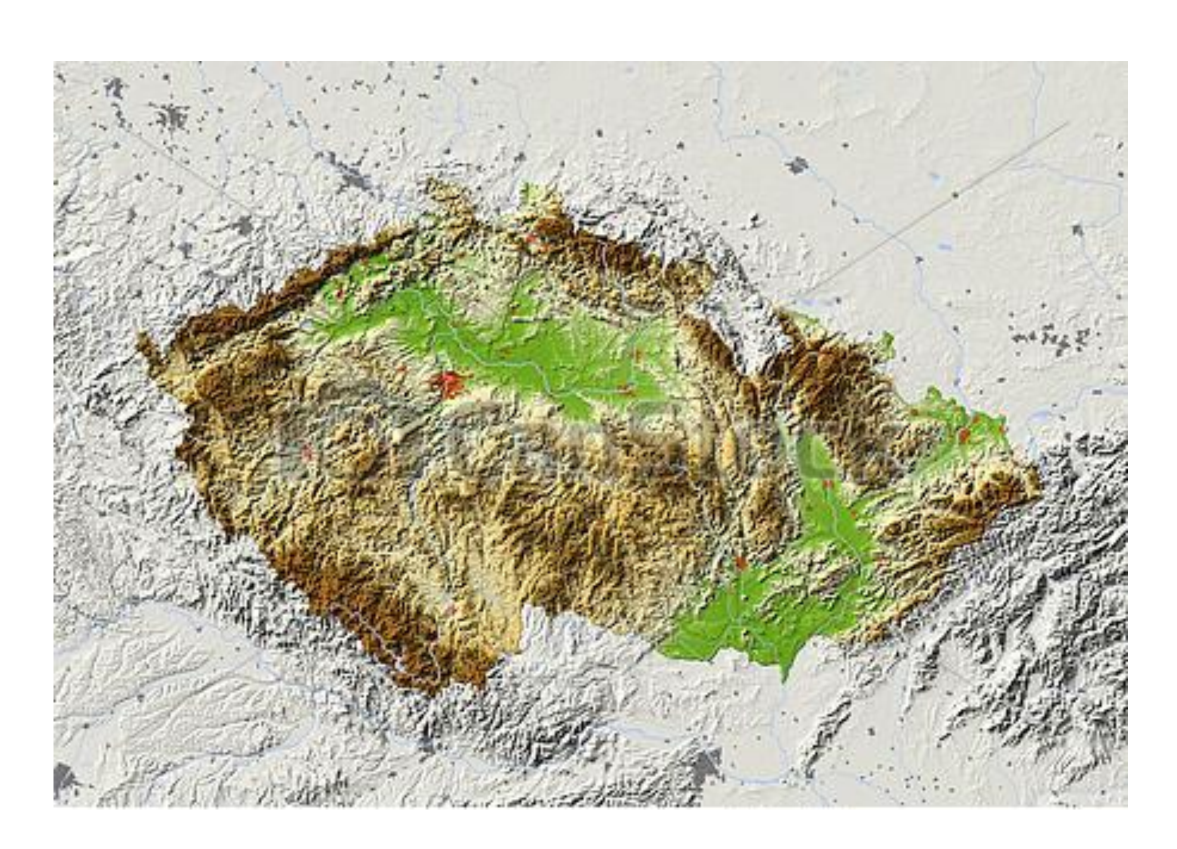
[116] جيان فيكتور ماري موريو (14فبراير 1763 - 2 سبتمبر1813) جنرال فرنسي ساعد نابليون بونابرت في الوصول إلى السلطة، لكنه أصبح فيما بعد منافساً له ونفي إلى الولايات المتحدة.

[117] الغابة السوداء: عبارة عن منطقة غابات جبلية في جنوب غرب ألمانيا حالياً، وتقع في ولاية بادن فورتمبيرغ. سميت بالسوداء نظراً لغاباتها المهيبة المتشحة بالسواد وخاصة في الليل بسبب كثافة أشجارها الصنوبرية المخضرة طوال السنة. تمتد الغابة على شكل مستطيل تقريباً، يبلغ امتدادها نحو 200 كم طولاً و60 كم عرضاً، أي أن مساحتها تقارب 12 ألف كم مربع.

[118] دوناوفورت: هي مدينة وعاصمة محافظة دوناوريس في سوابيا، بافاريا، ألمانيا. تقع المدينة بين ميونيخ ونورمبرغ، على بعد 46 كم شمال أوغسبورغ.

[119] كان هذا التحرك إبان حرب التحالف الأولى حيث كان الجيش الفرنسي وعلى إثرها حقق اختراقا نحو المانيا وانتصر فيها في عدة معارك وعزمت القيادة على الانسحاب إلى فرنسا قبل قدوم الجيش النمساوي وحقق موريو انسحاباً باهراً سُجِّل له وكانت كذلك عبر الغابة السوداء.

[120] وذلك إبان حرب التحالف السادسة أو ما تعرف في ألمانيا بحرب تحرير ألمانيا.



خريطة بوهيميا الطوبوغرافية

كل الضباط الأوربيين كان لديهم نفس الآراء الخاطئة بما يتعلق بالقوة التركية والبلقانية وخاصة بطبيعة التضاريس الداخلية. كان الاعتقاد أن مقاطعة القسطنطينية حاجزٌ منيع وأقوى ما في الإمبراطورية العثمانية، وذلك خطأ لم أتقبّله أثناء تواجدي في جبال الألب.

من الآراء المسبقة المتجذّرة أيضاً هي الاعتقاد أن السكان المسلحين سيشكلون حتماً ميليشيا كبيرة، وسيدافعون عن أنفسهم حتى أخر رمق. أثبتت التجربة –مبنية على هذا الرأي– أن النظام القديم في الإمبراطورية العثمانية (الذي وَضَع النخبة الانكشارية[121] في المدن الحدودية على الدانوب) قد جعل من سكان المدن الحدودية عسكريين أكثر من سكان مدن الداخل. وفي الواقع اضطرت مشاريع الإصلاح في عهد السلطان محمود[122] للتخلص من

[121] هي قوات النخبة من مشاة الجيش العثماني، شكلوا الحرس الخاص للسلطان العثماني. تأسست قوات الانكشارية في عهد السلطان مراد الأول (1362-1389) وكان للانكشارية تنظيماً خاصاً بهم في ثكناتهم العسكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وهم أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذاً. غير أن هذه الأهمية الكبيرة لفرقة الانكشارية تحولت إلى مركز قوة نغّص حياة الدولة العثمانية، وعرضها لكثير من الفتن والقلاقل. في يوم 9 من ذي القعدة 1241هـ 15=حزيران/يونيو 1826 قضت قوات السلطان محمود الثاني على الانكشارية.

[122] السلطان محمود خان الثاني بن عبد الحميد الأول (20 يوليو1785- 1 يوليو1839) هو السلطان الثلاثون للدولة العثمانية، وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول شهد عصره خطوات إصلاحية واسعة.

هذا النظام القديم، ولم يكن هناك وقت لاستبداله بنظام أحدث مما جعل الإمبراطورية بلا دفاع.

أثبتت التجربة دائماً أن حشود المقاتلين الشجعان المسلحين بكافة أنواع الأسلحة غير كافية لوحدها ليُكَوّنَ هؤلاء المقاتلون جيشاً قوياً أو دفاعاً قومياً.

وبالعودة للحديث عن أهمية المعرفة الجيدة عن الجغرافية العسكرية والإحصائية، فإن هذه العلوم غير مشروحة في البحوث ولم يتم تطويرها بعد. قام لويد[123] بكتابة مقالة عن هذه الأمور واصفاً حدود الدول العظمى في أوروبا. لم يكن لويد موفقاً في توقعاته أو في استخلاص الفوائد، كان يرى العوائق في كل مكان، واعتقدَ أن الحدود النمساوية على نهر الإن (بين تيرول وباساو[124]) منيعة، بينما قام نابليون وموريو بالمناورة على هذه الحدود وانتصروا بجيوشهم المؤلفة من 150000 جندي في الأعوام 1800 و1805 و1809.

ولكن إذا كانت هذه العلوم لا يتم تعليمها على نطاق واسع فمن المرجّح أننا سنجد معلومات قيّمة متعلّقة بهذه العلوم في وثائق هيئات الأركان الأوروبية (على الأقل في مدارس هيئات الأركان الخاصة). ونحن بانتظار الوقت الذي سيقوم به ضابط مجتهد بشرح جغرافية أوروبا الاستراتيجية والعسكرية مستعيناً بالوثائق المنشورة والغير منشورة. لدينا القدرة على سد هذه الحاجة جزئياً (بفضل التطور الكبير في الطبوغرافية خلال السنوات الأخيرة) بخرائط ممتازة انتشرت في جميع البلدان الأوروبية في العشرين سنة الأخيرة. في بداية الثورة الفرنسية كانت الطبوغرافيا في طفولتها، باستثناء ما قام به فرانسوا كاسيني[125] عندما رسم خريطته النصف طبوغرافية، وكذلك أعمال باكنبرغ فهي لوحدها تستحق هذا الاسم.

على أية حال تعتبر مدارس الأركان النمساوية والبروسية جيدة، وقد قطفوا ثمرة ذلك منذ مدة. الخرائط المنشورة آنفاً في فيينا وبرلين وميونيخ وشتوتغارت[126] وباريس، وكذلك المنشورة من

---

[123] هنري همفري ايفانز لويد (1718 - يونيو 1783) كان ضابط في الجيش الويلزي وكاتب العسكري. وقد قاتل مع الفرنسيين ضد النمساويين، كتاباته في النظرية العسكرية درسها جورج واشنطن وجورج باتون، واستخدمها فولر لتأسيس علم الحرب.

[124] باساو: هي بلدة تقع جنوب شرق ألمانيا الحالية.

[125] فرانسوا كاسيني: هو عالم فلك فرنسي ورسام خرائط (17 يونيو 1714- 4 سبتمبر 1784)

[126] شتوتغارت: هي عاصمة ولاية بادن فورتمبرغ في جنوب ألمانيا الحالية

قبل معهد هردر في فريبورغ[127] تُبشِّر الجنرالات في المستقبل بمصادر معلومات كبيرة لم تكن معروفة لمن سَبَقهم.

حظ الإحصاء العسكري من المعرفة ليس بأوفر من الجغرافية. كل ما لدينا هي تقارير غير واضحة وسطحية عن تقديرات الجيوش والقوات البحرية، وكذلك عن الإيرادات التي تمتلكها الدولة، وهذه المعلومات غير كافية لوضع خطط للعمليات. ليس هدفنا هنا شرح هذه المواضيع المهمة بالتفصيل، بل سنكتفي بالإشارة إلى أهميتها للمساعدة في إنجاح العمليات العسكرية.

الموضوع الثاني عشر: أسباب أخرى لها تأثير على الانتصار في الحرب

يعتبر الغضب الشعبي بحد ذاته عدو قوي دائماً، وعلى كل من الجنرال والحكومة بذل قصارى جهدهم لتهدئة الشعب. كنا قد شرحنا بما فيه الكفاية عن هذا الموضوع تحت عنوان الحروب القومية [الوطنية].

من جهة ثانية على الجنرال أن يعمل جاهداً على إثارة حماسة جنوده، وأن ينقل إليهم الحماس التي يحاول كبته في أعدائه. جميع الجيوش تتأثر بهذه الروح، الحماس في بداية العمل والوسائل لتحقيق ذلك، وتختلف الجيوش فقط في الهوية القومية. البلاغة في الخطابات العسكرية هي إحدى هذه الوسائل وهي موضوع الكثير من البحوث. تصريحات نابليون وباسكوفيتش[128]، وخطابات سواروف هي نماذج من هذه الأنواع المختلفة. بلاغة خطابات المجالس المحلية الإسبانية[129] ومعجزات عامود العذراء (مادونا)[130] تؤدي لمثل هذه النتائج بوسائل متباينة بشكل كبير.

بشكل عام الوسائل التي تؤدي إلى إثارة حماس الجنود لتحقيق النصر هي قضية يضحي من أجلها الجنود، والثقة التي يمنحها الجنرال في نفوس جنوده من خلال نجاحاته السابقة. يجادل البعض مشككين في فوائد إثارة الحماس، ويفضلون رباطة الجأش والهدوء في

---

[127] فريبورغ مدينة تشكل عاصمة مقاطعة فريبورغ السويسرية حالياً، وتقع على نهر سارين

[128] إيفان فيودوروفيتش باسكوفيتش (19 مايو 1782 – 1 فبراير 1856) كان قائد الجيش الإمبراطوري الروسي. حصل على رتبة مشير في الجيش الروسي، وبعد ذلك في الجيش البروسي والنمساوي.

[129] المجالس المحلية الإسبانية: كانت أثناء حرب شبه الجزيرة الإيبيرية خلال مقاومة الاحتلال الفرنسي

[130] هو مزار يقدسه النصارى في سرقسطة أقيمَ على نهر الإبرو يُزعَم أنه مكان تجلي مريم عليها السلام للحواري يعقوب الكبير

المعركة. في الحقيقة كلا الأمرين لهما فوائد ومضار جليّة وواضحة، فالحماسة تحثُّ على القيام بأعمال عظيمة، لكن الصعوبة تكمن في الحفاظ عليها كما هي، وعندما يحدث التثبيط تنتشر الفوضى بسهولة.

زيادة الفعالية أو نقصانها وجرأة قادة الجيوش كلها عوامل نجاح أو فشل وهي لا تخضع لقواعد معينة. يجب على مجلس الوزراء والقادة أن يأخذوا بعين الاعتبار القيمة الفعليّة لجنودهم، والقيمة الناتجة من تنظيمهم بالمقارنة مع عدوهم. الجنرال الروسي الذي يقود أقوى تنظيم من الجنود في أوروبا لا يخاف من مواجهة جنود غير منظمين وغير منضبطين في الأراضي المفتوحة مهما كانوا شجعان كأفراد[131]. **التناغم في الأعمال يصنع القوة، والتنظيم يصنع التناغم، والانضباط يصنع التنظيم وبدون الانضباط والتنظيم يكون النصر غير ممكن.** إلا أن الجنرال الروسي لن يكون بنفس الجرأة أمام القوات الأوروبية التي تمتلك نفس التعليمات ونفس الانضباط عكس القوات الغير منضبطة. في النهاية فإن الجنرال سيجرب مع الجنرال ماك[132] كعدو ما يُعتبَر جنوناً إذا جرّبه مع نابليون.

تؤثر أعمال مجلس الوزراء فيما يخص التحكم بالجيوش على إقدام عملياتهم. فالجنرال الذكي المقيّد من قبل مجلس حكم على بعد 500 ميل هو غير قادر على مواجهة جنرال له حرية العمل ومتساوي معه في بقية الصفات.

بالنسبة للتفوّق في المهارات فإنها من أهم العوامل التي تؤدي إلى النصر، هذا إذا تساوت بقية العوامل. صحيح أن بعض الجنرالات العظماء هُزِموا من قبل جنرالات ضعفاء، ولكن الشواذ لا تصنع قاعدة.

سوء فهم أمر أو حدث غير متوقع قد يمنح الأعداء كل فرص النجاح، وهي الفرص التي يصنعها الجنرال الماهر بمناوراته، لكن هذه المخاطر لا يمكن توقعها أو تجنبها. هل من المعقول عند الأخذ بهذا الحسبان إنكار تأثير العلم والمبادئ العسكرية في الأحوال العادية؟

[131] قال المؤلف: القوات الغير منظمة والمدعومة بقوات منظمة قد تكون قيمتها أعلى وذلك بتدميرها للقوافل وقطعها لطرق الامداد والمواصلات وتجعل انسحاب العدو كارثياً كما حدث للفرنسيين في إسبانيا عام 1812. ولعل المؤلف يقصد بالقوات الغير المنضبطة في نص الكتاب (لا الهامش) القوات العثمانية التي قاتلت الروس لإشارته لهم سابقاً بأنهم غير منضبطين بالرغم من شجاعتهم, بدليل أن المؤلف أشار بعدها إلى أن الترتيب الانضباطي للقوات الروسية يجب أن يكون مختلفاً أمام القوات الأوروبية.

[132] كارل فريهر ماك فون ليبيريش (25 أغسطس 1752 – 22 ديسمبر 1828) ضابط نمساوي، كان قائد القوات النمساوية التي استسلمت لجيش نابليون في معركة أولم في عام 1805.

بالتأكيد لا. ويبرهن هذا الخطر على صحة هذه المبادئ، لأنه كان يجب أن تطبق على العدو، فطُبِّقَت صدفة على الطرف الذي كان من المفترض أن يطبّقها على عدوه، وهذا سبب نجاحها. عند الاعتراف بهذه الحقيقة قد يُقال أن هذا الجدال ضد العلم؛ لكن هذا الاعتراض لا أساس له من الصحة، لأن علم الجنرال يتضمن خلق الفرص التي يُحتمل النجاح فيها بشكل كبير، ولا يتضمن طبعاً التدخل بالقدر. حتى لو كان عدد المعارك التي تم النصر فيها باستخدام التكتيكات بمهارة لا يتجاوز عدد المعارك التي تم النصر فيها بالصدفة فلن يغير هذا الأمر رأيي.

إذا كانت مهارة الجنرال هي إحدى أضمن العوامل المؤدية للنصر، فإن الاختيار الصحيح للجنرال سيكون أكثر النقاط حساسية في اختيارات الحكومة ومن أكثر الأجزاء أساسية في السياسة العسكرية للدولة. من المؤسف أن هذا الاختيار يتأثر بكثير من العوامل منها المشاعر التافهة والفرصة والرتبة والعمر والتفضيل والروح الحزبية وكذلك المصلحة العامة والعدل. هذا الموضوع من الأهمية بمكان بحيث سنفرد له مقال آخر.

الموضوع الثالث عشر: المؤسسات العسكرية

من أكثر الأمور أهمية في السياسة العسكرية للدولة هي طبيعة مؤسساتها العسكرية، فالجيش ذو القدرات الجيدة بقيادة جنرال ذو قدرات عادية قد يحقق إنجازات كبيرة، أما إذا كان الجيش سيء القدرات تحت قيادة جنرال جيد فقد يكون أداؤه بشكل جيد، ولكن هذا الجيش نفسه سيكون أداؤه أفضل بكثير في حال الجمع بين قدرات الجيش العالية وتفوق الجنرال.

يجب أن يتوفر في الجيش اثنا عشرة شرطاً حتى يكون جيشاً مثالياً وهي:

1. أن يكون له نظام تجنيد جيد
2. منظم بشكل جيد
3. وجود نظام جيد لتنظيم قوات الاحتياط
4. تعليمات جيدة من الضباط والرجال في التدريب العسكري والواجبات الداخلية وكذلك في الحملات العسكرية

5. انضباط صارم (لا يصل لمستوى الإهانة) تعززه روح الانتماء والالتزام بالمواعيد، وذلك على أساس القناعة وليس تماشياً مع شكليات الخدمة العسكرية.
6. نظام جيد مقبول للمكافآت، ومناسب لإثارة روح التنافس.
7. التدريب الجيد على الأسلحة الخاصة من الهندسة والمدفعية.
8. التسليح المتفوق (حسب الإمكانيات) على تسليح العدو، سواءً بالأسلحة الدفاعية أو الهجومية
9. رئيس أركان حرب قادر على استخدام هذه العناصر، ولديه ترتيبات مدروسة للنهوض بالتعليم النظري والعملي لأركانه.
10. نظام جيد للتموين والمستشفيات والإدارة العامة.
11. نظام جيد لتولي القيادة، وتوجيه العمليات الرئيسية للحرب.
12. القدرة على إثارة الروح العسكرية للشعب والحفاظ عليها.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الشروط شرط توفر نظام جيد للملابس والمعدات، ورغم أن هذا الشرط أقل أهمية فيما يتعلق بميدان المعركة، إلاّ أنّ له تأثير كبير في الحفاظ على القوات، وإنّه لأمرٌ عظيم أن نحافظ على أرواح وصحة الجنود.

لا يمكن إهمال هذه الشروط الاثنا عشر دون التعرُّض لمصاعب شديدة. المثال على ذلك سقوط بروسيا تحت ضربات نابليون في خمسة عشر يوماً رغم أنّ الجيش البروسي مدرب ومنضبط بشكل جيد، إلاّ أنه لا يملك قوات احتياط وذو قيادة سيئة. من ناحية أخرى كثيراً ما يُنظَر إلى حجم الفائدة التي ستجنيها الدولة في حال امتلاكها جيش جيد. كان لرعاية ومهارة فيليب[133] والإسكندر المقدوني[134] في تشكيل وتوجيه كتائبهم وجعلها خفيفة الحركة وسريعة المناورة، دورٌ كبير في إخضاع المقدونيين للهند وبلاد فارس وذلك بجزء من قواتهم النخبوية. كان للحب المفرط الذي أظهره فريدريك الأول لجنوده دورٌ عظيم في منح ابنه فريدريك العظيم جيشاً قادر على تنفيذ مشاريعه العظيمة.

---

[133] فيليبوس الثاني المقدوني ولد 382 ق.م. ، حكم مقدونيا القديمة من سنة 359 ق.م إلى وفاته سنة 336 ق.م. وهو والد الإسكندر الأكبر.

[134] الاسكندر المقدوني (الأكبر): هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ .وُلد الإسكندر في مدينة بيلا قرابة سنة 356 ق.م توفي سنة 323 ق.م، قيل أنه هو المذكور في القرآن بذي القرنين.

الحكومة التي تهمل جيشها تحت أي ذريعة هي مذنبة في أعين الأجيال القادمة، لأنها بهذا الإهمال تعرّض البلاد ومصالحها للخطر والذل بدلاً من إعداد الجيش للانتصار. نحن نرفض القول بأن الحكومة يجب أن تضحي بكل شيء للجيش، لأن هذا سيكون منافياً للعقل، ولكن يجب أن تولي الجيش الرعاية المستمرة. وإذا كان الأمير لم يتلقى التعليم العسكري فسيكون من الصعب جداً أن يؤدي واجبه في هذا الباب. في هذه الحالة – التي من المؤسف أنها تحدث كثيراً– يجب أن تُسد هذه الثغرة من قبل مؤسسات خبيرة، تبدأ بوضع نظام جيد لهيئة أركان الحرب، ونظام جيد للتجنيد، ونظام جيد من قوات الاحتياط.

هناك في الواقع أشكال من الحكم لا تسمح للحاكم بسلطة لاعتماد أفضل النظم للجيش. إذا كانت جيوش الجمهوريات الرومانية والفرنسية وجيوش لويس الرابع عشر وفريدريك العظيم تثبت أنه من الممكن إيجاد نظام عسكري جيد، وتوجيه العمليات بمهارة في ظل الحكومات الأشد معارضة من حيث المبدأ، فإنه لا يمكن التشكيك – في حالة العالم الحالية– بأن شكل الحكومة له تأثير كبير في تطوير القوة العسكرية للأمة وفي فعالية قواتها.

عندما تكون الأموال العامة في أيدي المتأثرين بالمصلحة المحلية أو الروح الحزبية، فإنهم قد يبالغوا في التدقيق والحرص على عدم الإنفاق، بحيث ينتزعوا كامل الصلاحيات في شن الحروب من الحاكم الذي يعتبره معظم الشعب عدواً لهم وليس حاكماً يرعى مصالحهم الوطنية.

قد تساهم الإساءة في استخدام الحريات العامة المُسَاء فهمها بهذه النتيجة البائسة، وبالتالي سيكون من المستحيل على الإدارة التي تخطط للمدى البعيد أن تُعدّ البلاد لحرب كبيرة، سواءً كان هدف هذه الحرب المطالبة بأهم مصالح البلاد في المستقبل، أو إن كان هدفها مقاومة ضرورية وفورية لعدوان مفاجئ.

هلّا توقّف أعضاء الهيئة التشريعية المنتخبة (ومعظمهم لن يكونوا مثل الكاردينال ريشيليو[135] ولا بيتس ولا حتى لوفويز[136]) عن محاولاتهم الخائبة في كسب الشعبية المبنية على فهم

[135] كاردينال ريشيليو (9 سبتمبر 1585 - 4 ديسمبر1642 م) هو رجل دولة ودين ومن النبلاء الفرنسيين. كان وزير الملك الفرنسي لويس الثالث عشر. أصبح كاردينالاً سنة 1622م ومن ثم أصبح سيد الوزراء لدى لويس الثالث عشر سنة 1622م حتى وفاته سنة 1642م هو من خريجي السوربون ومؤسس أكاديمية اللغة الفرنسية. امتاز ريشيليو بالحنكة السياسية، وبتأكيد سلطة الملك

خاطئ للاقتصاد، وبدلاً من ذلك يساهموا في إيقاف انهيار المؤسسات الضرورية لجيش منضبط جيد التجهيز؟ وهلّا توقفوا عن إقناع أنفسهم وناخبيهم (المخدوعين بالدعاوي المغرية للإنسانية المفرطة) بأنّ حلاوة السلام أفضل دائماً من استعدادات رجل الدولة للحرب؟

أنا أبعد ما يكون عن الرأي القائل بأنه يجب على الدول أن تضع يدها على السلاح دائماً، وأن تكون على استعداد للحرب بشكل دائم؛ لأن هذه الحالة ستجلب الكوارث للجنس البشري، ولن يكون هذا ممكناً إلّا في ظل ظروف غير متوفرة في جميع البلدان. أعني ببساطة أنه يجب على الحكومات المتحضّرة أن تكون دائماً على أهبة الاستعداد لشن الحرب في زمن قصير، في الوقت الذي لا ينبغي أبداً أن تكون غير مستعدة. خبرة مؤسسات الدولة قد تفعل الكثير في التحضير لذلك على قدر بُعد نظرها في إدارتها وتحسين نظامها للسياسة العسكرية. وإذا كانت تُعتبر الحكومات التي تخضع لجميع التغييرات من قبل هيئة تشريعية منتخبة (في الأوقات العادية) في ظل حكم الهيئات الدستورية أقل ملائمة من غيرها في إنشاء أو إعداد قوة عسكرية هائلة، إلا أنها في بعض الأزمات الكبيرة حققت هذه الهيئات التشاورية نتائج مختلفة تماماً، وساعدت في تطوير القوة الوطنية إلى أقصى حد. ومع ذلك، فإن العدد القليل لمثل هذه الحالات في التاريخ يجعلها في قائمة الحالات الاستثنائية التي استفادت فيها الجمعية المشاغبة والعنيفة (التي وُضِعَت تحت ضغط الحاجة الملحة للاحتلال أو الهلاك) من الحماس الاستثنائي للأمة لإنقاذ البلاد وأنفسهم في نفس الوقت وذلك باللجوء إلى أكثر الإجراءات فظاعة، وطلب المساعدة من سلطة دكتاتورية مطلقة أطاحت بالحرية والقانون بحجة الدفاع عنها. هذه هي الدكتاتورية أو الاستيلاء المطلق والوحشي على السلطة بدلاً من طريقة الجمعيات المنتخبة، الذي هو السبب الحقيقي لإظهار القوة. ما حدث في المؤتمر بعد سقوط روبسبيري[137] ولجنة السلامة العامة[138] الرهيبة يثبت ذلك، فضلاً عن

والضرب على أيدي النبلاء، وكان يؤمن بأن الدين لا ينشر بالدماء، وفي أيامه انحسر النفوذ السياسي لطبقة النبلاء وخسروا كثيراً من مصالحهم.

[136] فرانسوا ميشيل لوتيلييه ماركيز دو لوفويز (18 يناير 1641 – 16 يوليو 1691) كان وزير الدولة الفرنسي للحرب لفترة طويلة من عهد لويس الرابع عشر. قام لوفواز ووالده ميشيل لو تيلييه بزيادة عدد الجيش الفرنسي إلى 400.000 جندي، وهو جيش من شأنه أن يقاتل في أربع حروب بين 1667 و1713. يعرف اختصاراً باسم "لوفويز".

[137] ماكسميليان روبسبير أو روبسبيار (1794 - 1758)، محامي وزعيم سياسي فرنسي، أصبح أحد أهم الشخصيات المؤثرة في الثورة الفرنسية، وأحد الوجوه الرئيسية في عهد الإرهاب. في عام 1790 انتخب رئيسا لنادي اليعاقبة، وازدادت شعبيته كعدو للملكية ونصير للإصلاحات الديمقراطية . وعقب سقوط الملكية في فرنسا عام 1792 انتخب روبسبير أول مندوب لباريس للمؤتمر الوطني الذي ألح فيه على مطلب إعدام الملك لويس السادس عشر وعائلته وهو ما تحقق عام 1793م وسرعان ما انتخب روبسبير عضواً في الهيئة التنفيذية العليا ولجنة السلامة العامة. في غياب أي مقاومة له، أصبح هو المسيطر على الحكومة الفرنسية، حيث كانت فرنسا وقتذاك

مجلس النواب في عام 1815. الآن، إذا كانت تعتبر السلطة الدكتاتورية (السلطة التي تُوضَع في أيدي قلة) دائماً أنها خشبة النجاة في الأزمات الكبيرة، فمن الطبيعي أن نستنتج أن البلدان التي تسيطر عليها المجالس الانتخابية تكون أضعف سياسياً وعسكرياً من الملكية المطلقة، على الرغم من أنها تقدم مزايا أخرى في جوانب أخرى.

من الضروري بصفة خاصة مراقبة وحماية الجيوش في فترات السلم الطويلة، وذلك حتى لا تتدهور هذه الجيوش وتصاب بالضعف، وهذا محتمل جداً في فترات السلم الطويلة. ومن المهم تعزيز الروح العسكرية في الجيوش وممارستها لمناورات تدريبية كبيرة، وحتى إن كانت تحاكي الحرب الفعلية بشكل ضعيف إلّا أنها تبقى ميزة مهمة في إعدادهم للحرب. ولا تقل أهمية في منعهم من أن يصبحوا مخنثين، وهو ما يمكن القيام به من خلال توظيفهم في جهود مفيدة للدفاع عن البلاد.

انعزال القوات في حاميات على شكل أفواج هي واحدة من أسوأ النظم الممكنة، ويبدو أن النظام الروسي والبروسي المتمثل بالفرق والفيالق الدائمة أفضل بكثير. وبصفة عامة يمكن الآن تقديم الجيش الروسي كنموذج يقتدى به من نواح كثيرة، وإن كانت عاداته في كثير من الأمور عديمة الفائدة وغير قابلة للتطبيق في أماكن أخرى، فلا بد من الاعتراف بأن العديد من مؤسساته الجيدة يمكن تقليدها.

أما بالنسبة للمكافآت والترقية، فمن الضروري تقدير الخدمة الطويلة، وفي الوقت نفسه فتح وسيلة التميّز. فيجب أن تكون ثلاثة أرباع الترقيات في كل رتبة وفقاً لقائمة الخدمة الطويلة، والربع الباقي محفوظ لأولئك المتميزين بالجدارة والحماس. وعلى العكس من ذلك في وقت

تعاني من الإضرابات السياسية والاجتماعية. وبهدف استعادة النظام في البلاد وتقليل خطر الغزو الخارجي، بدأ روبسبير في القضاء على كل من اعتبرهم "أعداء الثورة" فأعدم معظم زعماء الثورة الفرنسية، وهو ما عرف بعهد الإرهاب وكان لا يزال يتمتع بتأييد المجتمع الباريسي، ولذلك انتخب رئيساً للمؤتمر الوطني. في غضون ذلك ازدادت الإعدامات، حتى وصل عدد المعدومين إلى ستة آلاف شخص في ستة أسابيع، وأدت خطب روبسبير النارية إلى خوف عدد من كبار أعضاء المؤتمر الوطني على سلامتهم الشخصية، ولذلك دبرت مؤامرة ضد روبسبير وأعوانه، واتفق كل من (باراس - دتاليان) متزعمي المؤامرة وهما من رجال الثورة الذين كانا خائفين على ما يفعله روبسبير ومن معه، لذلك عزما على التخلص منه وجهزا قوة عسكرية واقتحما بها دار البلدية التي تمترس بها روبسبيير، ونجحت إحدى الرصاصات التي أطلقت عليه في أن تصيب فكه، ومن ثم قيدوه وأخذوه إلى المقصلة مع مائة من أتباعه وأعدموهم جميعهم، ما أنهى عهد الإرهاب.

[138] لجنة السلامة العامة : أنشئت في مارس 1793 من قبل المؤتمر الوطني الفرنسي ثم أعيدَ هيكلتها في يوليو 1793، شكلت حكومة الأمر الواقع التنفيذية في فرنسا خلال عهد الإرهاب(1794-1793) ، وهي إحدى مراحل الثورة الفرنسية.

الحرب، ينبغي تعليق أوامر الترقيات العادية أو تخفيضه على الأقل إلى ثلث الترقيات، تاركاً الثلثين الآخرين للسلوك الرائع والخدمة المميزة أثناء الحرب.

التفوق في التسليح قد يزيد من فرص النصر في الحرب، إذ هو في حد ذاته ليس سبباً في كسب المعارك، وإنما هو عامل كبير في النصر. كلنا نذكر كيف كاد الفرنسيون أن يَهلكوا في معركة إيلاو[139] ومارنجو[140] نتيجة ضعفهم الشديد في سلاح المدفعية. ويمكننا أيضاً أن نشير إلى المكاسب الكبيرة التي حققها سلاح الفرسان الفرنسي الثقيل لما عادوا لارتداء الدروع التي تركوها لفترة طويلة. كل واحد منا يعرف الميزة الكبيرة للرماح، ومما لا شك فيه فإن الخيالة الخفيفة (hussar)[141] أفضل من الرماح في المبارزة بين شخصين، ولكن عند الانقضاض على شكل نسق فالعكس صحيح. كم من الجنود الفرسان الشجعان كانوا ضحية التحامل الذي يضمرونه ضد الرماح لأنها كانت أكثر صعوبة في حملها من السيف الضالع (Saber)[142]!



درع

[139] معركة إيلاو هي معركة دموية حدثت في 7-8 فبراير عام 1807 بين جيش نابليون وجيش روسيا القيصرية قرب بلدة إيلاو في بروسيا الشرقية خلال حرب التحالف الرابعة ولم تسفر عن نصر حاسم.

[140] معركة مارنجو هي معركة وقعت بين فرنسا والنمسا في عام 1800م وانتصرت في هذه المعركة الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت مما أجبر النمسا على توقيع معاهدة لونفيل في عام 1801م وكانت النتائج استيلاء فرنسا على كل الحدود الواقعة بينها وبين نهر الراين وانسحاب النمسا من إيطاليا نهائياً.

[141] Hussar: نوع من الانواع الفرسان الخفيفة، ظهرت في أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وانتشرت في أنحاء أوروبا بعدها.

[142] السيف الضالع أو المُنصُل أو السيف المنحني أو كَتّارَه هو نوع من السيوف وحيدة الحد التي عادةً ما تتمتع بشفرة مقوسة وأحادية الحد ومزودة بوقاء لليد كبير نسبيًا، حيث يغطي براجم اليد إلى جانب الإبهام والسبابة. وللعلم فالhussar في جيش نابليون كانوا مسلحين بهذا النوع من السيوف، بينما كان الhussar في أزمنة أخرى وجيوش أخرى مسلحين بالرماح عادة.



الخيالة الخفيفة hussar

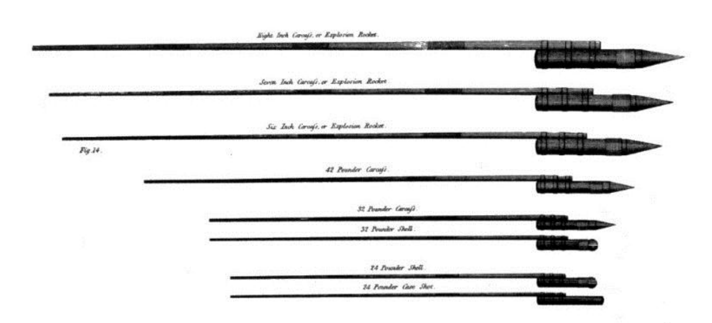


السيف الضالع / كتاره

إن تسليح الجيوش قابل لإدخال تحسينات كبيرة عليه، فالدولة التي تأخذ زمام المبادرة في القيام بالتحسينات تضمن الحصول على مزايا كبيرة. بقي القليل من التحسينات المطلوبة للمدفعية، ولكن الأسلحة الهجومية والدفاعية للمشاة والفرسان تستحق اهتمام حكومة حسنة التدبير. ويبدو أن الاختراعات الجديدة في السنوات العشرين الماضية تهدد بثورة عظيمة في تنظيم الجيوش وتسليحها وتكتيكاتها. مع ذلك ستبقى الاستراتيجية وحدها دون تغيير مع المبادئ نفسها التي كانت في زمن سكيبيو[143] والقياصرة وفريدريك ونابليون، لأنها مستقلة عن طبيعة الأسلحة وتنظيم القوات.

[143] بابليوس كورنيليوس سكيبيو الإفريقي: يعرف أيضاً باسم سكيبيو الإفريقي أو سكيبيو الكبير أوأفريكانوس الكبير (240 ق.م - 183 ق.م) قنصل وقائد روماني خلال الحرب البونيقية الثانية، اشتهر بانتصاره على حنبعل في معركة زاما التي حسمت الحرب البونيقية الثانية، ومن هنا اكتسب لقبه "الإفريقي"، كما يلقب بـ"حنبعل الروماني"، ويعتبر واحد من خيرة القادة العسكريين في التاريخ، وأبرز معاركه التي أظهرت قدراته التكتيكية معركة إليبا.

وسائل التدمير تقترب من الكمال بسرعة مخيفة[144]. يُقال أن النمساويين الآن استطاعوا ضبط تأثير وتوجيه صواريخ الكونغريف[145]، ومدفع الهاوتزر المتشظي الذي يرمي علبة مليئة بالشظايا بمدى يقارب مدى الرصاصة[146]، ومدافع بيركنز البخارية[147] التي تطلق سيل من الكرات بعدد أفراد كتيبة، ستضاعف هذه الأسلحة فرص التدمير، كما لو أن مجازر إيلاو وبورودينو[148] ولايبزغ وواترلو[149] لم تكن كافية لتدمير النسل البشري في أوروبا.



صواريخ الكونغريف



The Steam Gun which Jacob Perkins demonstrated to the Duke of Wellington in 1825. Now in the Armouries of the Tower of London, it fired 1,000 musket balls each minute and was capable of piercing eleven one inch thick deal planks an inch apart at a distance of 115 feet.

مدفع بيركنز البخاري

---

[144] المترجمون الأمريكيون: مما يُذكر أن الكاتب كتب هذا منذ سنوات عديدة، ومنذ ذلك الوقت تم توجيه وتركيز العبقرية الابتكارية في ذلك العصر إلى تحسين الأسلحة النارية. وقد شهدت المدفعية التي أعتبرها قاربت الكمال تحسينات هامة، كما أن تحسين كفاءة الأسلحة الخفيفة ليس بأقل، في حين أننا لا نسمع شيئاً الأن عن بنادق بيركنز البخارية، وحتى الأن لم يتم تنظيم جيش عصري على الخطة التي يقترحها المؤلف لحرمان هذه الآلات المدمرة من كفاءتها.

[145] صاروخ كونغريف: هي صواريخ طورها الضابط البريطاني وليم كونغريف خلال بداية القرن التاسع عشر وتحمل المتفجرات. وزن بعض الصواريخ 27 كغ ويحلق إلى ارتفاع 2.5 كم.

[146] الهاوتزر هو نوع من أنواع المدفعية يتميز بسبطانة قصيرة نسبياً ويطلق قذائف صغيرة تصل لمسافات بعيدة بسرعة أبطئ بمسار منحن للمقذوف بحيث يكون مسار المقذوف مقوس لضرب المواقع خلف الموانع بعكس المدفع الذي يستخدم المسار المستقيم بسرعة فوهية عالية جداً.

[147] مدفع اخترعه جاكوب بيركنز يعتمد على مبدأ الطاقة البخارية في إطلاق الرصاص.

[148] معركة بورودينو دارت رحاها بتاريخ 7 سبتمبر 1812 بين جيش نابليون بونابرت والجيش الإمبراطوري الروسي بقيادة الجنرال ميخائيل كوتوزوف، وهي إحدى أكبر معارك الغزو الفرنسي لروسيا التي نجم عنها خسارة 44,000 جندي روسي و35,000 جندي فرنسي بين قتيل وجريح وأسير، وقد قيل أنها كانت أكثر معارك الحروب النابليونية دمويةً بل ومن أكثر الحروب دموية في التاريخ البشري حتى ذلك الحين.

[149] معركة واترلو: معركة فاصلة وقعت في 18يونيو عام 1815م في قرية واترلو قرب بروكسل عاصمة بلجيكا، وهي آخر معارك الامبراطور الفرنسي نابليون بونابرت هزم فيها هزيمة مريرة غير متوقعة لقائد بعبقرية نابليون، وهذا ما جعل الإنجليز يصفون فيما بعد الشخص الذي يعاني من حظ سيئ جداً بأنه صادف واترلو.

إذا لم تتفق الحكومات في مؤتمر لحظر استخدام هذه الاختراعات المدمرة، فلن يكون هناك طريقة أخرى إلا بتجهيز نصف جيش يتكون من الفرسان ويلبسون الدروع، ذلك من أجل اغتنام هذه الآلات بسرعة كبيرة. وحتى المشاة سيكونون ملزمين بالعودة لارتداء دروع العصور الوسطى، التي من دونها ستُدمَّر الكتيبة قبل الاشتباك مع العدو. في حين أن هناك شك في إمكانية تحقق هذه المخاوف، إلّا أنّه من المؤكد أن المدفعية والتقانة النارية (علم وصناعة الصواريخ النارية) أحرزت تقدماً يجبرنا على التفكير في تعديل التشكيل المعقّد المستعمل بشكل سيء من قبل نابليون. وسنعود إلى هذا الموضوع في فصل التكتيكات.

سنكرر هنا في كلمات مختصرة القواعد الأساسية للسياسة العسكرية التي ينبغي تبنيها من قبل حكومة خبيرة:

1. يجب أن يتلقى الأمير التعليم السياسي والعسكري، ومن المرجح أنه سيجد الرجال ذوي القدرة الإدارية من مستشاريه أكثر من ذوي القدرة السياسية أو العسكرية الجيدة، لذلك ينبغي جمع الأمرين (العسكري والسياسي) في شخصه.
2. إذا كان الأمير لا يقود جيوشه بشكل شخصي، سيكون من واجبه الأول والمصلحة الأقرب له أن يسد مكانه جيداً، بحيث يأتمن مجد سلطانه وسلامة دولته إلى جنرال أكثر قدرة منه على قيادة جيوشه.
3. يجب أن يتمتع الجيش الدائم بالمرونة من حيث زيادة العدد ولا يكون بعدد واحد فقط في جميع الظروف، فيجب أن يكون قادراً على مضاعفة عدده إذا لزم الأمر، فالاحتياط ينبغي أن يكون دائماً مستعد. وينبغي أن يكون تعليمه وانضباطه ذا طابع عالٍ فضلاً عن تنظيمه، وأن يكون تسليحه على الأقل بجودة جيوش الدول المجاورة، ومتفوقاً إن أمكن.
4. يجب أن تكون معدات الحرب أيضاً بأفضل جودة ومتوفرة. وينبغي تخزين الاحتياطيات في المستودعات والترسانات. وأن لا تمنعنا الغيرة الوطنية من اعتماد جميع التحسينات التي تمت إضافتها في بلدان أخرى إلى هذا المعدات.

5. من الضروري تشجيع دراسة العلوم العسكرية ومكافأة المتفوقين فيها، فضلاً عن الشجاعة والحماسة. يجب أن تُحترم الهيئة العسكرية العلمية وتُكرّم، هذه هي الطريقة الوحيدة لتأمين رجال في الجيش أصحاب جدارة وعبقرية.
6. في حالة السلم يجب توظيف هيئة أركان الحرب في الأعمال التحضيرية لجميع حالات الحروب الطارئة المحتملة. وتزويد أرشيفها بتفاصيل تاريخية عديدة عن الأحداث الماضية، وبجميع الأطروحات والمقالات الإحصائية والجغرافية والطوبوغرافية والاستراتيجية الحالية والمستقبلية. ومن ثم من الضروري أن يكون رئيس هذه الهيئات مع عدد من ضباطها مقيمين بشكل دائم في العاصمة في وقت السلم، وينبغي أن يكون في مكتب الحرب لهيئة الأركان قسم سري للوثائق السرية لإخفائها عن الأعضاء الثانويين من الهيئة.
7. يجب عدم إهمال الحصول على المعلومات الجغرافية والإحصائية العسكرية للدول الأخرى، لكي نعرف قدرتها المادية والمعنوية في الهجوم والدفاع، فضلاً عن المزايا الاستراتيجية للطرفين. وينبغي توظيف الضباط المتميزين في هذه الأعمال العلمية، ومكافأتهم عندما يبلون بلاءً حسناً بكفاءة مميزة.
8. عند اتخاذ قرار بشن الحرب، يصبح من الضروري إعداد خطة عمليات، ومن المستحيل أن تكون الخطة كاملة، بل يجب وضع نظام للعمليات في إطار هدف محدد لتوفير الأساس فضلاً عن جميع الوسائل المادية اللازمة لضمان نجاح العمل.
9. يجب أن يُحدّد نظام العمليات مسبقاً أهداف الحرب، وصفات قوات العدو، وطبيعة وموارد البلد، وشخصيات الأمم ورؤساؤها سواء من الجيش أو السياسيين. باختصار ينبغي أن يُبنَى نظام العمليات على أساس التعامل مع الوسائل المعنوية والمادية للهجوم أو الدفاع التي يمكن للعدو أن يستخدمها، ويجب أن يأخذ في الاعتبار التحالفات المحتملة التي يمكن أن تُعقد لصالح أو ضد أي من الطرفين خلال الحرب.
10. يجب أن تُوزن الحالة المالية للأمة من بين ميزانيات الحرب. ومع ذلك سيكون من الخطورة أن تنسب باستمرار إلى هذه الحالة الأهمية التي يوليها فريدريك العظيم في عصره. ربما كان على حق في عصره عندما تم تجنيد الجيوش اعتماداً على

التجنيد التطوعي، عندما استقطبت الأجور العالية المزيد من الجنود، ولكن عندما تكون جبايات الدولة ذات تنظيم جيد، فلن يكون للمال نفس التأثير –على الأقل لحملة أو حملتين–. وإن أثبتت إنكلترا أن المال سيجلب جنوداً ومساعدين، فقد أثبتت فرنسا أن حب البلد والشرف مثمران بنفس القدر، وأنه يمكن عند الضرورة شن حرب لدعم الحرب. وفرنسا في الواقع في خصوبة ترابها وحماسة قادتها تمتلك مصادر قوة مؤقتة ولا يمكن اعتمادها كأساس عام لنظام ما، ولكن نتائج جهودها لم تكن أقل تميزاً. وفي كل عام كانت تعلن التقارير المتعددة الصادرة عن مجلس الوزراء في لندن ولا سيما عن السيد د. يفرنويس أن فرنسا كانت على وشك الانهيار بسبب الإفلاس، في حين كان لدى نابليون 200.000.000 فرنك[150] في خزائن التويلري[151]، مع استيفاء نفقات الحكومة بما في ذلك أجور جيوشه.

قد تمتلك الدولة فائضاً من الذهب، ومع ذلك تدافع عن نفسها بشكل سيء للغاية. والتاريخ في الواقع يثبت أن أغنى دولة ليست الأقوى ولا الأسعد. الحديد يزن ما لا يقل عن الذهب في موازين القوة العسكرية، ومع ذلك يجب أن نعترف بأن الجمع الصحيح بين المؤسسات العسكرية الخبيرة والشعور الوطني العالي والمالية ذات التنظيم الجيد والثروة الداخلية والائتمان العام يزيد من قوة الأمة لتصبح أعظم قوة، ويجعلها أكثر قدرة على الاستمرار في حرب طويلة.

سنحتاج لمجلدات لمناقشة جميع الظروف التي يمكن أن تزيد قوة الأمة أو تضعفها، إما عن طريق الذهب أو الحديد، ولتحديد الحالات التي يتوقع فيها أن تدعم الحرب حرباً أخرى. لا يمكن الحصول على هذه النتيجة إلا عن طريق حمل الجيش إلى أراضي العدو، وليست جميع البلدان على قدم المساواة قادرة على توفير الموارد للمهاجم.

لا نحتاج إلى التوسع في البحث والشرح في هذه المواضيع التي لا ترتبط مباشرة بفن الحرب، وهدفنا هو أن نبين علاقاتها بحرب متوقعة، وسيكون على رجل الدولة تطوير التعديلات التي قد تحدثها الظروف والأوضاع في هذه العلاقات.

---

[150] قال المؤلف: كان هناك عجز في المالية الفرنسية عند سقوط نابليون، وكان ذلك نتيجة لطوامه والجهود الهائلة التي اضطر إلى القيام بها. لم يكن هناك عجز في عام 1811.

[151] التويلري: هو القصر الملكي ويقع في باريس.

الموضوع الرابع عشر: قيادة الجيوش والسيطرة العليا على العمليات

هل من صالح الدولة أن تُقاد جيوشها شخصياً من قبل الملك؟ مهما كان القرار في هذه النقطة، فمن المؤكد أنه إذا كان الملك يمتلك عبقرية فريدريك أو بيتر الكبير[152] أو نابليون فإنه لن يترك شرف القيام بالأعمال العظيمة لجنرالاته بل سيفعلها بنفسه، لأنه في ترك هذا الشرف سيكون خائناً لمجده ومصالح بلاده.



بيتر الكبير

ليس من مهمتنا أن نناقش مسألة ما إذا كان من الأفضل لأمة أن يكون لها أمير حرب أو أمير محب للسلام (وهو سؤال مثالي خارج عن موضوعنا)، كل ما سنقوله في هذه النقطة (مع المساواة في المزايا والفرص في الجوانب الأخرى) هو أن الملك يتفوق دائماً على الجنرال بكونه رئيساً للدولة. وبغض النظر عن السؤال القائل "هل هو مسؤول أمام نفسه فقط عن مجازفاته ومشاريعه الجريئة؟" فإنه يستطيع أن يفعل الكثير بيقين أنه قادر على التصرف في جميع الموارد العامة لتحقيق أهدافه، كما أنه يمتلك الأتباع الأقوياء لصالحه، والقدرة على إعطاء المخصصات والعقوبات، وسيكرّس الجميع لتنفيذ أوامره. ولضمان أكبر قدر من

[152] بطرس الأكبر أو بيتر العظيم أو بيتر الأول أو بيوتر ألكسييفيتش رومانوف (9 يونيو 1672 - 8 فبراير 1725) وقيصر روسيا الخامس ولد في الكرملين عام 1672. حكم روسيا من عام 1682 خلفاً للقيصر فيودر الثالث وحتى وفاته عام 1725. وقد كان يحكم روسيا بدايةً حتى 1696 مشاركاً لأخيه غير الشقيق القيصر إيفان الخامس في الحكم حيث أن الأخير كان يعاني المرض.

النجاح لمشاريعه؛ لن تتدخل غيرة الآخرين في تنفيذ مشاريعه، أو على الأقل ظهورها سيكون نادراً وفي العمليات الثانوية. ومما سبق دوافع كافية لحمل الأمير لقيادة جيوشه، وذلك إذا كان يمتلك القدرة العسكرية ووصل النزاع إلى حد يستحق منه التدخل. ولكن إذا لم تكن لديه القدرة العسكرية الكافية وشخصيته ضعيفة ويتأثر بسهولة، فإن وجوده مع الجيش يفتح الطريق لجميع أنواع المؤامرات ولن يتم تحقيق نتائج جيدة، فكل جنرال سيقدم مشاريعه وخططه له، إلّا أنّ رأيه سيميل غالباً إلى خطط ومشاريع الجنرال المقرب منه، وذلك لافتقاره للعلم والخبرة اللازمة لتقدير مشاريع وخطط الجنرالات حسب جدارتهم. وبذلك لن يستطيع الجنرال الذي يتدخل المَلِك في أعماله ويعارضه في جميع مشاريعه أن يحقق النجاح حتى وإن كان يملك القدرة والخبرة الكافية لتحقيق هذا النجاح.

قد يقال أنه يمكن للملك أن يرافق الجيش دون أن يتدخل بعمل الجنرال قائد الجيش، وعلى العكس يساعده في أداء مهامه بتأثير ثقل وجوده إلى جانب الجنرال، في هذه الحالة يكون وجوده سبباً لتحقيق نتائج جيدة، لكنه قد يؤدي أيضاً إلى إحراج كبير، وذلك إذا ما حدث التفاف على الجيش وانقطع إمداده، واضطروا إلى تخليص أنفسهم والسيف في اليد، فما أتعس النتائج التي تحدث من تواجد الملك في المقر العام للمعركة!

عندما يرى الأمير ضرورة نزوله إلى الميدان على رأس جيوشه، لكنه يفتقر إلى الثقة بالنفس اللازمة للإشراف الأعلى على الأمور، فإن أفضل طريقة ستكون هي التي اعتمدتها الحكومة البروسية مع بلوشر[153] وهي كالتالي: ينبغي أن يكون الأمير مصحوباً بأفضل جنرالين من ذوي القدرات العسكرية، أحدهم ذو قدرة إدارية والأخر ضابط أركان جيد التدريب. إذا كان هذا الثلاثي متناغماً فإنهم قد يحققوا نتائج ممتازة، كما هو الحال في جيش سيليزيا[154] في عام 1813.

وقد يطبق نفس النظام في الحالة التي يرى فيها الملك أنه من الأفضل أن يأتمن القيادة لأمير من عائلته كما كان يحدث كثيراً منذ عهد لويس الرابع عشر. وقد حدث في كثير من الأحيان أن الأمير يمتلك القيادة اسمياً فقط، وأن المستشار (الذي في واقع الأمر مأمور)

---

[153] جيفهارد ليبرشت فون بلوشر، فورست فون فالستات (17 ديسمبر 1742- 12 سبتمبر 1819) كان ضابطا بروسيا برتبة مشير. أُشتهِر بعد قيادة جيشه ضد نابليون الأول في معركة الأمم في لايبزيغ في عام 1813 ومعركة واترلو في عام 1815 وانتصاره عليه.

[154] قاد بلوشر جيش سيليزيا في حرب التحالف السادسة وهزم جيش نابليون هزيمة ساحقة في معركة الأمم.

يفرض الأوامر على الملك. كان هذا هو الحال مع دوق أورليانز[155]ومارسين[156] في معركة تورينو الشهيرة، وبعد ذلك مع دوق بورغندي[157] ودوق فندوم[158] في معركة أودينارد[159]، وأعتقد أيضاً في معركة أولم[160] مع أرتشدوق فرديناند[161] وماك. وهذا النظام يُرثى له، إذ لا يُوجِّه المسؤولية عن ما يحدث لشخص محدد. ومن المعروف أنه في معركة تورينو أظهر دوق أورليانز قدراً أكبر من الفطنة مقارنةً بمارسين، وأصبح من الضروري بالنسبة لهذا الأخير إظهار صك التفويض الكامل السري من قبل الملك قبل أن يقضي الأمير بقراره ويسمح بحدوث الهزيمة في المعركة[162]. حتى في معركة أولم أظهر أرتشدوق المهارة والشجاعة أكثر من ماك الذي كان مستشاره.

إذا كان الأمير يمتلك عبقرية وخبرة أرتشدوق تشارلز[163]، فينبغي أن تُستثمر بسلطة غير مقيدة، ويُسمح له باختيار كامل معداته. وإذا لم يكن قد حصل بعد على نفس ألقاب القيادة، فمن الممكن بعد ذلك تزويده بجنرال متعلم من هيئة الأركان، وجنرال آخر مميز بموهبته في الإنجاز. ولكن في أي حال من الأحوال ليس من الحكمة استثمار حكمة وعبقرية أي مستشار من المستشارين في السلطة بمنحه أكثر من صوت واحد في التشاور.

---

[155] فيليب دي أورلينز هو فيليب الثاني دوق أورليان ابن فيليب الأول، دوق أورليان ابن الملك لويس الثالث عشر (2 أغسطس1674-2 ديسمبر 1723م) أمير فرنسي من الأسرة الملكية الفرنسية، عمُّه الملك لويس الرابع عشر، وقد جعله قبلَ وفاته على رأس مجلس الوصاية الذي حكم فرنسا منذ وفاة الملك لويس الرابع عشر إلى أن تولى خليفتُه لويس الخامس عشر المُلْكَ بنفسه، فظلّ الأمير فيليب دي أورلينز وصياً على العرش منذ 1715 إلى وفاته 1723م.

[156] فرديناند كومت دي مارسين (أو مارتشين) (10 فبراير 1656 - 9 سبتمبر 1706) دبلوماسي فرنسي، وكان مارشال فرنسا.

[157] لويس دوق بورغوندي (16 أغسطس 1682 - 18 فبراير 1712) المعروف بدوفين الأصغر، هو أمير فرنسي، أصبح دوفين فرنسا العشرون وأصبح دوق بورغندي، هو ابن لويس جراند دوفين وزوجته ماريا آنا فيكتوريا دوقة بافاريا.

[158] دوق فندوم: لويس جوزيف دي بوربون (1 يوليو 1654 - 11 يونيو 1712) كان قائدا عسكرياً فرنسياً خلال حرب التحالف الكبير وحرب الخلافة الإسبانية، وكان مارشال فرنسا.

[159] معركة أودينارد كانت معركة في حرب الخلافة الإسبانية حدثت في 11 يوليو 1708 بين قوات بريطانيا العظمى، والجمهورية الهولندية والإمبراطورية الرومانية المقدسة من جهة، وفرنسا من جهة أخرى. حدثت في أودينارد (الآن في بلجيكا) وكانت انتصاراً كبيرا للحلفاء.

[160] معركة أولم حدثت في 16- 19 أكتوبر 1805 وهي سلسلة من المناوشات حدثت في نهاية حملة أولم، حيث أوقع نابليون الأول بالجيش النمساوي بأكمله تحت قيادة كارل فريهر ماك فون ليبيريش مع الحد الأدنى من الخسائر وأجبرهم على الاستسلام، على مقربة من أولم وهي مدينة تقع في جنوب ألمانيا الحالية.

[161] أرتشدوق فرديناند كارل جوزيف من النمسا (25 أبريل 1781 - 5 نوفمبر 1850) هو الابن الثالث لأرشدوق فرديناند وزوجته الأميرة ماريا بياتريس ريكاردا دي إستي، الوريث الأخير لبيت الإستي. كان في قيادة الجيش النمساوي في معظم الحروب النابليونية.

[162] كان أورليانز الأشد تأييداً لمهاجمة الحلفاء في حصن تورينو. وأغلبية القادة أيدت الهجوم، وكادوا ينفذون هذا الهجوم، إلا أن مارسين منعهم من ذلك, وأظهر للمجلس رسالة من لويس الرابع عشر تعطيه السلطة العليا في حالة حدوث معارضة ضمن القيادة، وبالتالي بقي الجيش الفرنسي في الخطوط.

[163] أرتشدوق تشارلز من النمسا، دوق تيشين (5 سبتمبر 1771 - 30 أبريل 1847) كان هو المشير النمساوي، الابن الثالث للإمبراطور ليوبولد الثاني وزوجته ماريا لويزا من اسبانيا, وهو الأخ الأصغر لفرانسيس الثاني الإمبراطور الروماني المقدس. على الرغم من معاناته مع مرض الصرع، حقق تشارلز الاحترام كقائد وكمصلح للجيش النمساوي. كان يعتبر واحداً من أقوى أعداء نابليون.

لقد قلنا بالفعل أنه إذا لم يكن الأمير على جيوشه شخصياً، فإن أهم واجباته هي أن يكلف قائداً جيداً لهذا المنصب، وهو أمر لا يتم دائماً لسوء الحظ. من دون أن نعود إلى العصور القديمة سيكون كافياً أن نذكر الأمثلة الأقرب عهداً كما حدث في عهد لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر[164]. لم يُمنح الأمير يوجين التقدير المناسب لقيمته الحقيقية (القائد الأقدر في وقته) وذلك بسبب شكله المشوّه، وهذا ما دفعه للانضمام إلى صفوف العدو.

بعد وفاة لوفواز[165] شَغَل تالارد[166] ومارسين وفيليروي[167] مناصب تورين[168] وكوندي[169] ولوكسمبورج[170]، وبعد ذلك سوبس[171] وكليرمون[172] خلفاً للمارشال ساكس[173]. بين اختيار الرجال الأنيقين الخارجين من صالونات بومبادورس ودوباريس[174]، وبين تفضيل نابليون للجنود البسطاء، هناك العديد من التدرجات وهامش واسع بما فيه الكفاية لتوفير وسائل لجعل تعيينات المناصب عقلانية لأغبى حكومة. ولكن في جميع العصور مارست نقاط الضعف عند البشر تأثيرها بطريقة أو بأخرى، وغالباً ما كان المتحايل الماكر يظفر بالمنصب على الشخص الأقل جدارة أو المتردد الذي ينتظر دعوة رسمية لتقديم خدماته.

---

[164] لويس الخامس عشر ولد في 15شباط 1710 وتوفي في 10 أيار عام 1774 وهو ملك فرنسا منذ الأول من أيلول عام 1715 حتى 10 أيار 1774

[165] فرانسوا ميشيل لو تيلييه، ماركيز دو لوفواز (18 يناير 1641 - 16 يوليو 1691) كان وزير الدولة الفرنسي للحرب لفترة طويلة من عهد لويس الرابع عشر. ويشار إليه عادة باسم "لوفواز".

[166] كاميل دي هوستن دي لا بوم، دوك دي تالارد (14 فبراير 1652 - 20 مارس 1728) نبيل فرنسي ودبلوماسي وقائد عسكري، أصبح مارشال فرنسا.

[167] فرانسوا دي نيوفيل الثاني دوق فيليروي (7 أبريل 1644 - 18 يوليو 1730) وهو جندي فرنسي ترقى عام 1693 ليصبح مارشال فرنسا.

[168] كان هنري دي لاتور دي أوفيرغن، فيكومت دي تورين، وغالباً ما يلقب بتورين (11 سبتمبر 1611 - 27 يوليو 1675) المارشال العام الفرنسي وعضو الأكثر شهرة في عائلة لا تور دي أوفيرغن. انجازاته العسكرية خلال حياته المهنية لمدة خمسة عقود أكسبته سمعة باعتباره واحد من أعظم الجنرالات في التاريخ الحديث.

[169] لويس دي بوربون أو لويس الثاني أمير كوندي (8 سبتمبر 1621 - 11 ديسمبر 1686) كان جنرال فرنسي والممثل الأكثر شهرة عن كوندي في مجلس بوربون.

[170] فرانسوا هنري دي مونتمورنسي- بوتيفيل دوق لوكسمبورغ، يعرَف لوكسمبورغ (8 يناير 1628 - 4 يناير 1695) كان مارشال فرنسا رفيق وخلف للجنرال كوندي.

[171] تشارلز دي روهان أمير سوبس (16 يوليو 1715 - 1 يوليو 1787) مارشال فرنسا منذ عام 1758، كان رجلاً عسكرياً ووزيراً للملكين لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر.

[172] لويس دي بوربون (ليس لويس الثاني المذكور سابقاً في الهامش) (15 يونيو 1709 - 16 يونيو 1771) قائد القوات الفرنسية في ألمانيا خلال حرب السبع سنوات حيث تولى قيادة عام 1758 بعد الغزو الفرنسي الفاشل لهانوفر. لم يتمكن من اختراق جيش فرديناند الأنجلو ألماني واستولى على هانوفر.

[173] (موريس دي ساكس) (28 أكتوبر 1696 - 20 نوفمبر 1750) كان جندياً ألمانياً ثم دخل في الخدمة الفرنسية وأصبح مارشال ثم لاحقاً مارشال عام في فرنسا أيضاً، اشتهر بانتصاره الحاسم في معركة فونتينوي.

[174] يقصد بها صالونات أدبية فنية انشأتها عشيقتي لويس الخامس عشر وهما مدام دي بومبادور ومدام دو باري



الأمير يوجين

وبصرف النظر عن كل هذه الاعتبارات، سيكون من النافع أن نتساءل أي الجوانب تُعتبر صعبة في اختيار القائد، حتى عندما يكون المسؤول هو الأكثر حرصاً لوضع اختيار حكيم. في المقام الأول لاختيار الجنرال الماهر فإن ذلك إما أن يتطلب أن يكون الشخص الذي يقوم بالاختيار رجلاً عسكرياً قادراً على تكوين حكم سديد، أو أنّه ينبغي أن يسترشد بآراء الآخرين وهذا الأمر يفتح الطريق إلى التأثير غير السليم للتيارات المختلفة.

من المؤكد أن الحَرَج سيكون أقل عندما يكون هناك في متناول اليد جنرال مشهور بانتصاراته، ولكن بغض النظر عن الحقيقة القائلة بأن ليس كل جنرال انتصر في معركة هو قائد عظيم، (على سبيل المثال، جوردان[175]، شريرر[176] وغيرهم الكثير)، فليس الحال دائماً أن الجنرال المنتصر هو تحت تصرف الحكومة. قد يحدث بعد فترة طويلة من السلم أن لا يبقى جنرال واحد في أوروبا يتولى القيادة العليا للجيش. في هذه الحالة سيكون من الصعب أن تقرر ما إذا كان جنرال ما أفضل من آخر. سيكون الجنرالات الذين خدموا لفترة طويلة في السلم على رأس أسلحتهم أو فيالقهم، وستكون لديهم رتبة مناسبة لهذا المنصب، ولكن هل سيكونون قادرين على شغل هذا المنصب على الدوام؟ وعلاوة على ذلك فإن اللقاء بين رؤساء الحكومة مع مرؤوسيهم سيكون نادراً جداً وعابر، وليس من المدهش أن يواجهوا

[175] جان-بابتيست جوردان (29 أبريل 1762 - 23 نوفمبر 1833)، عمل في الجيش الملكي الفرنسي وترقى حتى وصل إلى قيادة الجيوش خلال الحروب الثورية الفرنسية، منحه الإمبراطور نابليون الأول لقب مارشال فرنسا في 1804 وقاتل أيضاً في الحروب النابليونية, وكان واحداً من أنجح قادة الجيش الثوري الفرنسي.

[176] بارتليمي لويس جوزيف شريرر (18 ديسمبر 1747 - 19 أغسطس 1804)، ولد في ديلي بالقرب من بلفور، وتسلم مهامه كجنرال فرنسي خلال الحروب الثورية الفرنسية، وقاد الجيوش في ثلاث وقائع.

صعوبة في تعيين الرجال في مواقعهم المناسبة. قد يخطئ الأمير في حكمه (تخدعه المظاهر ولو كان مخلصاً في نواياه) ويُغرَرَ في اختياراته.

يبدو أن أضمن وسيلة للتخلص من هذه البليّة هو في تحقيق رواية تيليماخوس الجميلة التي ألّفها المطران فينلون من خلال العثور على الأمين والمخلص والسخي فيلوكليس، الذي يقف بين الأمير وبين جميع الطامحين للقيادة، وهو من سيكون قادراً من خلال علاقاته المباشرة مع الجمهور أن ينير الملك في ما يخص اختيار أفضل الأفراد الموصى بهم لشخصياتهم وقدراتهم. ولكن هل هذا الصديق الأمين لا يميل أبداً لعواطفه الشخصية؟ هل سيكون دائماً بعيداً عن التحيّز؟ وقد رُفِضَ سوفوروف[177] من قبل بوتيمكين[178] بسبب مظهره، فحاولت كاترين[179] بجميع الطرق والأساليب تأمين فوج للرجل الذي حقق الكثير من الأمجاد للجيش الروسي.



سوفوروف

[177] أليكساندر فاسيليفتش سواروف (أو سوفوروف) هو كونت ريمنيك وأمير إيطاليا وكونت الإمبراطورية الرومانية المقدسة وقائد عام سابق في الإمبراطورية الروسية. يُعد سوفوروف أحد القادة القلة في التاريخ الذين يشهد لهم تاريخهم بأنهم لم يخسروا معركة قط. اشتهر سوفوروف بكتابه العسكري علم النصر (The Science of Victory) قدم مثالاً يُحتذى به لنتيجة التخطيط الاستراتيجي المفصل والدقيق.

[178] الأمير جريجوري ألكساندروفيتش بوتيمكين تافريتشكس هو قائدًا عسكريًا روسيًا ورجلاً من رجال الدولة ونبيلاً، كما كان مفضلاً عند كاترين العظيمة . ومات أثناء مفاوضات معاهدة جاسي، التي وضعت نهاية للحرب التي شهدها ضد الإمبراطورية العثمانية.

[179] إمبراطورة وأوتوقراطة كُل الروس كاترين الثانية ألكسيڤنا بنت كريستيان أغسطس أمير آنهالت الشهيرة باسم كاترين الكبيرة أو كاترين العظيمة هي إحدى أبرز وأهم وأكبر حُكّام روسيا عبر التاريخ، وأعظم شخصيَّة حكمت البلاد الروسيَّة في التاريخ الحديث، ومن أطول النساء الحاكمات عهداً، إذ امتدَّ عصرُها من سنة 1762م حتَّى وفاتها سنة 1796م عن عُمرٍ يُناهز 67 سنة، كما أنَّها من بين أشهر النساء الحاكمات عبر التاريخ ومن أعظمهنَّ شأناً وتأثيراً.

يُعتقد أن الرأي العام هو أفضل دليل وموجّه، ولكن لا شيء يمكن أن يكون أكثر خطورة من هذا الأمر. فالشعب صوتوا لدوموريز ليكون قيصراً وكان جاهلاً فيما يخص العمليات الكبرى للحرب. هل كان الرأي العام سيضع نابليون بونابرت على قيادة جيش إيطاليا عندما كان معروفاً من قبل اثنين من مسؤوليه فقط؟ ومع ذلك لا بد من الاعتراف بأنه يجب احترام العاطفة الشعبية وعدم احتقارها وإن لم تكن معصومة، لا سيما إذا بقيت حية بعد أزمات كبيرة ومعاناة من الأحداث.

الصفات الأساسية للجنرال يجب أن تكون دائماً على النحو التالي:

1. شجاعة معنوية [فكرية] عالية، قادرة على اتخاذ قرارات كبيرة[180].
2. شجاعة جسدية لا تبالي للخطر.

أما معرفته العلمية أو العسكرية فهي أمور ثانوية مقارنةً بالخصائص المذكورة أعلاه، وإن كان صاحب علم واسع فسيقدم هذا الأمر خدمة قيمة. ليس من الضروري أن يكون رجلاً واسع الاطلاع، قد تكون معرفته محدودة ولكن يجب أن تكون شاملة، ويجب أن يكون على معرفة تامة بمبادئ وأسس فن الحرب. **تُعتبَر صفاته الشخصية الأمر التالي في الترتيب من حيث الأهمية. الرجل الشهم والعادل والحازم والمستقيم والقادر على تقدير الكفاءة لدى الآخرين بدلاً من أن يكون غيوراً منهم، والجنرال الماهر في جعل هذه الجدارة تساهم في الوصول إلى مجده الخاص يُعَد جنرالاً جيداً دائماً أو حتى عظيماً. ولسوء الحظ فإن المعاملة بالعدل في تقدير وتقييم مزايا الآخرين ليس بالصفة الشائعة، فالعقول الوضيعة دائماً غيورة، وتميل إلى أن تحيط صاحبها بأشخاص ضعيفي القدرات، مع الخوف من أن تظهر بأنها تُقاد، ولا تدرك أن القائد الشكلي للجيش دائماً يتلقى معظم مجد نجاحه، حتى عندما يُشار له بالمشاركة في المعركة بأقل قدر.**

كثيراً ما نوقش هذا السؤال، ما إذا كان من الأفضل تعيين قائد عام من ذوي الخبرة الطويلة في الخدمة مع القوات، أو ضابط من هيئة الأركان ولديه خبرة عامة ولكن قليلة في إدارة القوات. ومما لا شك فيه أن الحرب هي علم مستقل بحد ذاته، وأنه من الممكن تماماً أن

[180] أي جرأة في التفكير.

تكون قادراً على الجمع بين العمليات بمهارة دون أن تكون لك خبرة سابقة في قيادة فوج ضد عدو في ما مضى. بطرس الكبير وكوند وفريدريك ونابليون هم أمثلة على ذلك. ومن ثم لا يمكن إنكار أنه يمكن لضابط من الأركان أو من مكان آخر أن يثبت نفسه أنه جنرال عظيم، ولكنه لن يكون جنرالاً عظيماً قادراً على القيام بالقيادة العليا لأنه اعتادَ على القيام بواجبات ضابط التموين والإمدادات، بل لأن لديه عبقرية طبيعية للحرب ويمتلك الخصائص المطلوبة. كذلك قد يقدر ضابط من صفوف المشاة أو الفرسان على قيادة حملة مثل أكثر الضباط براعة في التكتيك الحربي. وبالتالي فإن هذا السؤال لا يعطي إجابة محددة إيجاباً أو نفياً، لأنه في الغالب يعتمد على الصفات الشخصية للأفراد. والملاحظات التالية ستكون مفيدة في التوصل إلى نتيجة منطقية:

1. يكون الجنرال الذي يتم اختياره من هيئة الأركان أو المهندسين أو المدفعية (من الذين قادوا فرقاً أو فيالق) متفوقاً على من له خدمة طويلة في سلاح واحد أو خدم في واحدة من الفيالق الخاصة (مع تساوي الفرص).
2. يكون الجنرال الذي كان على جبهة ما، والذي درس علم الحرب مناسباً للقيادة بشكل مساوي.
3. الصفات الشخصية للرجل فوق كل المتطلبات الأخرى للقيادة العامة.

مما سبق نستخلص أن الجنرال يكون جيداً إذا وجدت فيه الخصائص الشخصية المطلوبة والمعرفة الشاملة لمبادئ فن الحرب. وقد أدت الصعوبة الدائمة في اختيار الجنرال المناسب إلى تشكيل هيئة أركان جيدة، وتكون هذه الهيئة قريبة من الجنرال الذي يستشيرهم، وبالتالي تمارس تأثيراً نافعاً على العمليات. وتعتبر هيئة الأركان المدربة تدريباً جيداً من أكثر الهيئات فائدة، ولكن يجب أن نحرص على منع إدخال مبادئ خاطئة عليها، كما في الحالة التالية فقد تؤدي إلى خطأ قاتل.

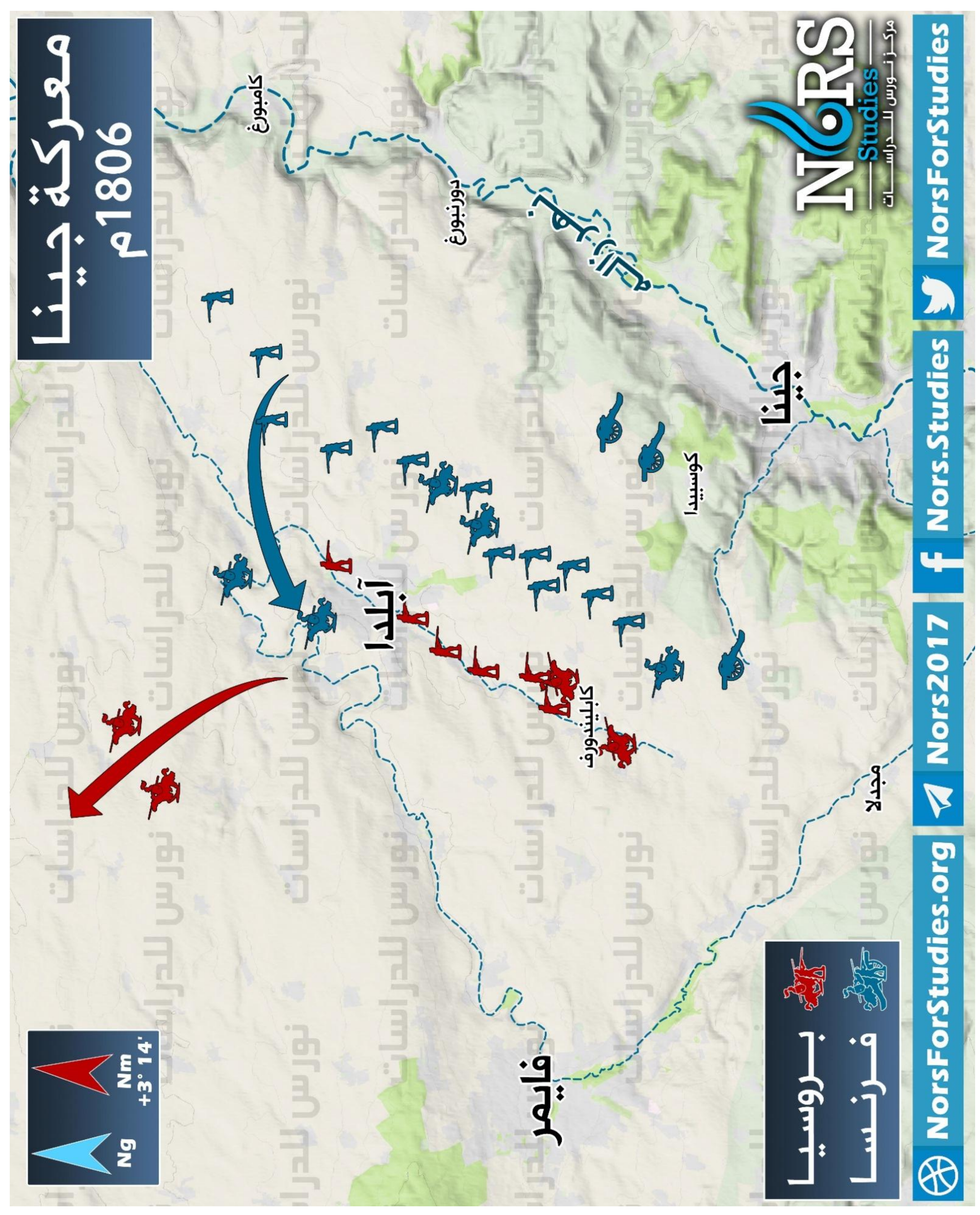
عندما أنشأ فريدريك مدرسة عسكرية في بوتسدام[181]، لم يخطر في باله أن ذلك سيؤدي إلى إصدار أمر "الكتف [الجناح] الأيمن إلى الأمام" من قبل الجنرال روشيل[182]، وإلى التنصيص

[181] بوتسدام عاصمة ولاية براندنبورغ الفيدرالية في ألمانيا الحالية وتقع على نهر هافل في المنطقة الجنوبية الغربية من برلين .وهي جزء من المنطقة الحضرية لبرلين/ براندنبورغ.

في المقررات الدراسية العسكرية بأن النظام المائل هو القاعدة المضمونة لكسب كل المعارك. ما أصح المثل القائل بين العلو والتفاهة خطوة![183]

[182] المؤلف: رأى الجنرال روشيل في معركة جينا أنه من الممكن إنقاذ الجيش من خلال إعطاء الأمر لدفع الكتف الأيمن من أجل تشكيل خط مائل.

[183] النظام المائل هو تكتيك عسكري حيث يركز الجيش المهاجم قواته لمهاجمة أحد أجنحة العدو. قائد القوة يركز غالبية قوته على جناح واحد ويستخدم الباقي لتثبيت خط العدو. وهذا يسمح للجيش الأقل عدداً أو المساوي بتحقيق التفوق المحلي في الأرقام. ثم يمكن القوة من هزيمة العدو. وقد تم استخدام هذا التكتيك من قبل العديد من الجنرالات الناجحين. لكن تطبيقه في معركة جينا من قبل قوات الإمداد البروسية بقيادة روشيل أدت لتلقينه هزيمة منكرة من قبل القوات الفرنسية لنجاح الخيالة الفرنسية بالالتفاف على الجناح الأيسر.



في معركة جينا استطاع جيش نابليون بعد إبادة الجيش البروسي الأول بقيادة الجنرال هوهنلوه وملاحقة ما تبقى منه (الخيالة البروسية الهاربة) أن يلتف على الخط المائل الذي شكلته التعزيزات البروسية بقيادة روشيل (الممتد من آبلدا حتى كابلينورف) وتمكن من إبادتهم.

علاوة على ذلك، ينبغي أن يكون هناك انسجام تام بين الجنرال ورئيس أركانه، ويجب أن يكون هذا الأخير رجلاً صاحب قدرات عسكرية معروفة، ومن الأفضل أيضاً أن يكون للجنرال حرية اختيار مستشاريه، ففرض رئيس أركان على الجنرال سيخلق فوضى ونقص في الانسجام، ومن ناحية أخرى فالسماح له باختيار رجل عديم الكفاءة لهذا المنصب سيكون أكثر خطورة؛ لأنه إذا كان رجلاً ضعيف القدرات وتم اختياره لهذا المنصب لمصلحة أو ثروة، فقد يكون هذا الاختيار قاتلاً. وأفضل وسيلة لتجنب هذه الأخطار هي إعطاء الحرية للجنرال للاختيار من بين عدد من الضباط المحددين، وكلهم من ذوي القدرات المعروفة.

من المتوارث عليه في معظم الجيوش أن المجالس الحربية المتكررة (من خلال مساعدتها للقائد بمشورتهم) تعطي المزيد من الثقل والتأثير في توجيه العمليات العسكرية. مما لا شك فيه أنه حتى لو كان القائد هو سوبيس أو كليرمون أو ماك فسيجد في المجلس الحربي آراء قيمة أكثر من رأيه، فقد تكون أغلبية الآراء المعطاة أفضل من رأيه، ولكن ما هو النجاح الذي يمكن توقعه من عمليات يقوم بها أفراد غير الذين وضعوا خطتها وترتيبها؟ ماذا ستكون نتيجة عملية غير مفهومة جزئياً من قبل القائد، لأنها ليست من تفكيره الخاص؟

لقد خضعت لتجربة يُرثى لها كمُلَقِّن في مقرات القيادة العامة، ولم يُقدِّر أحد قيمة هذه الخدمة أكثر مني، ولا سيما ضمن المجلس الحربي حيث كان العمل عبثياً سخيفاً. **وكلما زاد عدد الرتب العسكرية التي يتكون منها المجلس الحربي كلما ازدادت صعوبة انتصار الحقيقة والعقل، مهما كان مقدار المعارضة ضئيلاً.**

ماذا كان يمكن أن يكون موقف المجلس الحربي من قرار نابليون في خوض معركة أركولا[184]، أو عبور سان بيرنارد[185]، أو المناورات في أولم أو التي حدثت في جيرا وجينا[186]؟ الجبناء من هذا المجلس كانوا سيعتبرون هذه الأعمال تسرعاً لحد الجنون،

---

[184] كانت معركة أركول أو معركة أركولا (15-17 نوفمبر 1796) معركة بين القوات الفرنسية والنمساوية على بعد 25 كيلومتراً (16 ميل) جنوب شرق فيرونا خلال حرب التحالف الأولى، وهي جزء من الحروب الثورية الفرنسية.

[185] هوعبور حققه نابليون بجيشه في أيار عام 1800 عبر جبال الألب من خلال ممر سان بيرنارد واستطاع من خلاله الالتفاف على الجيش النمساوي محققاً نصراً ساحقاً عليهم في معركتين وهما مونتيبيلو ومارنجو وإنقاذ القوات الفرنسية المحاصرة في جنوة.

[186] حدثت معركة جينا في 14 أكتوبر 1806 على الهضبة الغربية لنهر سالي (زاله) في ألمانيا الحالية، بين قوات نابليون الأول من فرنسا وفريدريك وليام الثالث من بروسيا. قبل المعركة ظن نابليون أن الجيش البروسي متمركز في بلدة جيرا فاكتشف بمناورة استطلاعية أن الجيش البروسي الرئيسي متمركز في جينا مما أدى إلى حدوث هذه المعركة. تكبّدَ الجيش البروسي فيها هزيمة ساحقة وخضعت مملكة بروسيا لفرنسا.

وآخرون قد يرون آلاف الصعوبات التي قد تعترض التنفيذ، ولكان الجميع سيرفضون هذه الأعمال. وإذا كان قد حدث العكس مما سبق، فكان رأي المجلس الحربي هو الموافقة على تنفيذ هذه العمليات على يد شخص غير نابليون، أليس من المؤكد أنها ستتحول جميعها إلى إخفاقات؟



نجح نابليون بالمرور من ممر سان بيرنارد الجبلي الوعر المغطى بالثلوج في شهر مايو عام 1800 الممتد من بلدة مارتيني حتى اوستو وباغت القوات النمساوية المحاصرة للقوات الفرنسية بقيادة ماسينا في جنوة، مما اضطرهم الى إنهاء الحصار وإخلاء سبيل الفرنسيين إلى خارج جنوة.

برأيي إنّ المجالس الحربية مصدر بؤس، ولا يمكن أن تكون مفيدة إلّا عندما تتفق في الرأي مع القائد، وفي هذه الحالة قد تعطيه هذه المجالس مزيداً من الثقة في حكمه، وبالإضافة إلى ذلك تضمن له أن مساعديه (كونهم على رأيه) سيستخدمون كل الوسائل لضمان نجاح التحركات التي أمر بها. وهذه هي الميزة الوحيدة للمجلس الحربي، ويجب أن يكون هذا المجلس استشاري فقط وليس له أي سلطة أخرى. وإن لم يحدث اتفاق بين المجلس الحربي والقائد (ويجب أن يحدث الاختلاف في الرأي) فإن ذلك سيؤدي حتماً لنتائج مؤسفة. وبناءً على ذلك، أعتقد أنه من الآمن أن نلخّص أفضل وسيلة لتنظيم قيادة الجيش، في حال غياب جنرال ذي خبرة مثبتة بالنقاط التالية:

1. إعطاء القيادة لرجل صاحب شجاعة مُجرَّبة، جريءٌ في القتال، وثبات لا يتزعزع في المخاطر.
2. تعيين رجل كرئيس لأركانه يتمتع بقدرة عالية وشخصية منفتحة وصريحة وأمينة ومخلصة وبينه وبين القائد انسجام تام.

سيحصل المنتصر على الكثير من المجد مما يجعله قادراً على أن يمنح بعضه لزملائه الذين ساهموا معه في تحقيق انتصاره. وبهذه الطريقة حصل بلوشر (بمساعدة غيسيناو[187] ومفلنغ[188]) على المجد الذي ربما لم يكن قادراً على الحصول عليه لوحده. صحيح أن القيادة المزدوجة أمر مبغوض [يكثر عليه الاعتراض] أكثر من القيادة الواحدة مثل نابليون أو فريدريك أو سوفوروف، ولكن عندما لا يكون هناك جنرال عظيم لقيادة الجيوش فبالتأكيد هذا هو النظام الأفضل للقيادة.

قبل إنهاء هذا الفرع الهام من الموضوع، هنا وسائل أخرى للتأثير في العمليات العسكرية – أعني لمجلس حربي يجلس في مقر الحكومة – تستحق التنويه. وجَّه لوفويز القابع في

[187] أغسطس ويلهلم غيسناو (27 أكتوبر 1760 - 23 أغسطس 1831) مشير بروسي. وكان شخصية بارزة في إصلاح الجيش البروسي وحرب التحرير.

[188] فريدريش كارل فرديناند فريهر فون مفلنغ، يدعى وايس (12 يونيو 1775 - 10 يناير 1851) كان مشيراً بروسياً ومنظر عسكري. شغل منصب ضابط الاتصال لبلوشر في مقر ولينغتون خلال معركة واترلو وهو واحداً من المساهمين في الانتصار النهائي على نابليون. وساهم بشكل رئيسي في تطوير الأركان العامة البروسية كرئيس. وتخصص مفلنغ أيضاً في الطبوغرافية العسكرية ورسم الخرائط.

باريس جيوش لويس الرابع عشر لفترة طويلة وحقق النصر. ومن باريس أيضاً وجه كارنو[189] جيوش الجمهورية في عام 1793 أحسن توجيه وأنقذ فرنسا. في بداية حملات عام 1794 كان عمله سيء للغاية، لكنه أصلح أخطاءه بعد ذلك عن طريق الصدفة. في عام 1796 كان مخطئاً تماماً[190]. ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن كلاً من لوڤويز وكارنو قادوا لوحدهما الجيوش، ولم يكن معهما مجلس حربي. وكثيراً ما كان يُعهد إلى مجلس الحكم الذي كان يجلس في فيينا (عاصمة النمسا) واجب توجيه عمليات الجيوش النمساوية، ولم يعارض أي أحد أبداً في أوروبا بشأن التأثير القاتل لمثل هذا التوجيه. وسواء كان هذا الرأي صحيحاً أم خاطئاً، فإن الجنرالات النمساويين وحدهم كانوا قادرين على اتخاذ قرار. ورأيي الخاص هو أن مهام هذه الهيئة في هذا الصدد ينبغي أن تقتصر على اعتماد خطة عامة للعمليات. أعني لا يجب أن تُرسم خطة الحملة بالتفصيل، وتقيد الجنرالات بها وتجبرهم على خوض معركة دون الاعتبار لظروفها، ولكن يجب أن تحدد الخطة هدف الحملة وطبيعة العمليات، وإذا ما كانت هجومية أم دفاعية، أو الوسائل المادية التي يتعين استعمالها في هذه المبادرات الأولى، ثم الاحتياطيات، وأخيراً الضرائب التي قد تكون ضرورية في حالة غزو البلد. هذه النقاط من الصحيح أن تُناقش في مجلس يتكون من الجنرالات والوزراء، وتكون سيطرة المجلس محدودة إلى هذه النقاط؛ لأن المجلس لن يأمر الجنرال القائد بأن يسير إلى فيينا أو إلى باريس فقط، بل ينبغي أن يكون لديه أيضاً حسبان للإدلاء بالأسلوب الذي ينبغي أن يناور به الجنرال من أجل تحقيق الهدف. من المؤكد أن الجنرال التعيس سيُهزم، وستقع مسؤولية انتكاساته على أكتاف أولئك الذين أخذوا على عاتقهم واجب توجيه الجيش على بعد مئات الأميال البعيدة. مهمة التوجيه صعبة للغاية على أي شخص حتى لو كان في مسرح العمليات.

[189] لازار نيكولا مارغريت، الكونت كارنو (13 مايو 1753 - 2 أغسطس 1823) هو سياسي ومهندس فرنسي وماسوني وعالم رياضيات. كان يعرف باسم منظم النصر في الحروب الثورية الفرنسية.

[190] حدث ذلك إبان حرب التحالف الأولى، اخفاقات كارنو عام 1796 كانت بسبب خطة كارنو التي تقضي بتوجيه جيشين فرنسيين على طول الراين للهجوم على اجناب الجيش النمساوي، يقول دودج وهو أحد المعلقين العسكريين: الخطة تضمنت عناصر الفشل وذلك لتوجيه جيشين على خطين منفصلين نحو الشمال.

الموضوع الخامس عشر: الروح العسكرية للأمم ومعنويات الجيوش

إن اعتماد أفضل القوانين لتنظيم الجيش سيكون عديم الفائدة إذا لم تقم الحكومة في الوقت نفسه بزراعة الروح العسكرية في مواطنيها. قد يكون الحال كذلك في بريطانيا، التي هي عبارة عن جزيرة محمية من الغزو بفضل أساطيلها الهائلة. حيث لقَبَ المصرفي الغني فيها أرفع من الأوسمة العسكرية، ولكن الأمة القارية [الأوروبية] المشبعة بأحاسيس التجار الرقيقة وعاداتهم في لندن أو المصرفيين في باريس ستصبح عاجلاً أم آجلاً فريسة لجيرانها. **اكتسب الرومان العظمة نتيجة رعاية مؤسساتهم لامتزاج الروح العسكرية مع مزايا الروح المدنية، وعندما فقدوا هذه الفضائل ولم يعد يُنظَر للخدمة العسكرية كشرف وواجب، وتنازلوا عن ذلك للمرتزقة القوطيين والغال أصبح سقوط الإمبراطورية واقع لا مفر منه.** ومما لا ريب فيه أنه لا ينبغي إهمال أو احتقار أي أمر يرفع من ازدهار البلد؛ فمن الضروري أيضاً تكريم فروع الصناعات التي هي الأدوات الأولى لهذا الازدهار، إلا أنه يجب أن تكون دائماً ثانوية بالنسبة للمؤسسات الكبرى التي تشكل قوة الدول عن طريق تشجيع تربية فضائل الرجولة والبطولة. وتتفق السياسة والعدالة على هذه النقطة؛ لأنه مهما قال بوالو[191] فمن المؤكد أن مواجهة الموت على خطى القياصرة أكثر مجداً وفخراً من التغذي على مآسي العامة عن طريق المقامرة بتقلبات الائتمان الوطني. **ومن المؤكد أن المصائب تقع على البلاد التي تعلو فيها ثروة جامعي الضرائب أو المضاربين بالأسهم الجشعين (في تقدير العامة) فوق زي الرجل الشجاع الذي يضحي بحياته أو صحته أو ثروته للدفاع عن بلده.**

إن الوسيلة الأولى لتشجيع الروح العسكرية هي استثمار الجيش بكل المحافل الاجتماعية الشعبية، والوسيلة الثانية هي إعطاء الأفضلية للذين استوفوا الخدمة العسكرية للدولة في ملء أي وظائف شاغرة في الدوائر الإدارية للحكومة، أو حتى المطالبة بمدة معينة من الخدمة العسكرية كمؤهلات لبعض الوظائف. المقارنة بين المؤسسات العسكرية القديمة في روما مع مؤسسات روسيا وبروسيا تستحق الاهتمام الجاد، ومن المثير للاهتمام أيضاً مقارنتها مع مذاهب المنظّرين المعاصرين الذين يعارضون توظيف ضباط الجيش في الوظائف العامة الأخرى، ولا يرضون إلا بتوظيف أصحاب البلاغة والبيان في مكاتب الإدارة

---

[191] نيكولا بوالو المعروف باسم بوالو (1 نوفمبر 1636، باريس - 13 مارس 1711، باريس). هو كاتب وشاعر وناقد فرنسي في العصر الكلاسيكي، كان معروفا بشعر الهجاء.

الهامة[192]. صحيح أن العديد من الوظائف العامة تتطلب دورة دراسية خاصة، ولكن ألا يمكن للجندي (في وفرة من الراحة والسلام) أن يُعدّ نفسه لمهنة يفضلها بعد أن استوفى خدمته العسكرية لبلده؟ إذا كانت هذه المكاتب الإدارية تمنح وظائف للضباط المتقاعدين من الجيش من رتبة نقيب فما فوق، ألن تكون هذه الوظائف حافزاً للضباط من أجل بلوغ تلك الرتبة؟ ألن يمنعهم ذلك (في الحاميات) من البحث عن التسلية في أماكن أخرى غير المسارح والنوادي العامة؟

قد تؤدي سهولة التحول من الخدمة العسكرية إلى الخدمة المدنية ضرراً بدلاً من زيادة الروح العسكرية، وقد يُتّخذ من تشجيع هذه الروح وسيلة لرفع مهنة الجندي فوق الآخرين. وقد طُبِّق ذلك بشكل مبكر عند المماليك[193] والانكشارية، حيث كانوا يشترون الجنود العبيد من ذوي أعمار سبع سنوات، ويعلّموهم فكرة الموت وفقاً لمعاييرهم. حتى الإنكليز –الغيورون جداً على حقوقهم– وقعوا عقود تجنيد ملزمة لطول حياتهم، وفترة التجنيد لدى الروس خمسة وعشرين سنة، أي نظير ما يفعله الانكليز تقريباً. وفي مثل هذه الجيوش وكذلك في الجيوش التي تعتمد على التجنيد التطوعي، قد لا يكون من المستحسن التسامح مع هذا الاندماج بين الوظائف العسكرية والمدنية، ولكن عندما تكون الخدمة العسكرية واجب مؤقت على الشعب فإن القضية مختلفة. والقوانين الرومانية القديمة التي تتطلب خدمة عسكرية مسبقة لمدة عشر سنوات لأي طامح للوظائف العامة تبدو أفضل طريقة محسوبة للحفاظ على الروح العسكرية، وخاصة في هذا العصر عندما يكون تحقيق الراحة المادية والرفاهية هو شغف الناس. **ومع ذلك أرى أنه في ظل جميع أشكال الحكومات أنه من الحكمة تكريم الوظيفة العسكرية، من أجل تشجيع حب المجد وتشجيع جميع المزايا العسكرية، تحت طائلة احتقارنا من قبل الأجيال القادمة ومعاناة الإهانة والتبعية.**

---

[192] المؤلف: على سبيل المثال في فرنسا، بدلاً من استبعاد جميع الضباط من امتياز حق التصويت في الانتخابات، ينبغي أن تُعطى لجميع من حصل على رتبة عقيد، وينبغي أن يكون الجنرالات جديرين بالانتخاب في الهيئة التشريعية. لن يكون معظم النواب الناخبين المرتشين من السلك العسكري.

[193] الدَّولَةُ المَملُوكِيَّةُ أو السَّلطَنَةُ المَملُوكِيَّةُ أو دَولَةُ المَمَالِيك أو سلطنةُ المَمَالِيك هي إحدى الدُول الإسلاميَّة التي قامت في مصر خِلال أواخر العصر العبَّاسي الثالث، وامتدَّت حُدُودها لاحقًا لِتشمل الشَّام والحجاز، ودام مُلكُها مُنذُ سُقُوط الدولة الأيوبيَّة سنة 648هـ المُوافقة لِسنة 1250م حتَّى بلغت الدولة العُثمانيَّة ذُروة قُوَّتها وضمَّ السُلطان سليم الأوَّل الديار الشَّاميَّة والمصريَّة إلى دولته بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانيَّة سنة 923هـ المُوافقة لِسنة 1517م.

تعزيز الروح العسكرية بين أفراد الشعب ليس كافياً، والأهم من ذلك هو تعزيزها في نفوس أفراد الجيش. ما هي الفائدة من تكريم الزي العسكري في البلاد، واعتبار الخدمة في الجيش واجبة، في حين أن المزايا العسكرية مفقودة؟ سيكون حجم القوات كبير ولكنها ستفتقد للبسالة، فحماسة الجيش وروحه العسكرية هما أمران مختلفان تماماً ينبغي عدم الخلط بينهما، على الرغم من أنهما تنتجان نفس الآثار. فالحماس هو تأثير العواطف ويكون مؤقتاً بشكل أو بآخر (له طبيعة سياسية أو دينية على سبيل المثال) أو تنتج من محبة كبيرة للوطن. في حين أن الروح العسكرية للجيش تعتمد على مهارة القائد وتنتج من دور المؤسسات العسكرية، وهي الأكثر دواماً مقارنةً بالحماس، وتتأثر بالظروف بشكل أقل، وينبغي أن تكون موضع اهتمام كل حكومة بعيدة النظر[194]. يجب مكافأة الشجعان وتكريمهم، واحترام المكانات المختلفة للرتب، ويجب أن يكون الانضباط في المشاعر والقناعات لا المظاهر الخارجية فقط.

يجب أن يقتنع الضباط أن الانقياد والشجاعة والاهتمام الصادق بالواجب فضائل لا يمكن بدونها تحقيق المجد وجعل الجيش جدير بالاحترام، وأن الحزم [التماسك أو الثبات] خلال النكسات هو أكثر شرفاً من الحماس عند الانتصار، لأن الشجاعة وحدها ضرورية للهجوم على موقع، في حين أن الانسحاب الصعب أمام عدو منتصر ومقدام ويتطلب بطولة مع مواجهة العدو بجبهة صلبة غير منكسرة ومستمرة. ويجب مكافأة الانسحاب الجيد كما يُكافَأُ الانتصار العظيم.

من خلال تمرس الجيوش للعمل والجهد، ومن خلال الحفاظ عليها من الركود في الحامية في أوقات السلم، ومن خلال غرس فكرة تفوقهم على أعدائهم في أذهانهم (من دون الاستخفاف الزائد بالأعداء)، ومن خلال إثارة حب المفاخر العظيمة — بمعنى آخر من خلال إثارة حماسهم بكل الوسائل بما يتفق مع العقل، ومن خلال تكريم الشجعان ومعاقبة الضعفاء وفضح الجبناء— نتوقع الحفاظ على روح عسكرية عالية.

---

[194] المؤلف: من المهم بشكل خاص أن تنتشر هذه الروح في الضباط وضباط الصف، فإن كانوا مؤهلين واتصفت الأمة بالشجاعة فلا خوف من العدو.

التخنّث كان هو السبب الرئيسي لدمار الفيالق الرومانية ؛ جيل الجنود الذين حملوا الخوذ والتروس والدروع في زمن سكيبيو تحت الشمس الحارقة في أفريقيا، وجدها الجيل الذي بعدهم ثقيلة جداً في المناخات الباردة في ألمانيا وبلاد الغال، وكان نتيجة ذلك هزيمة الإمبراطورية.

لاحظت أنه من السيء المبالغة في احتقار العدو والتقليل من شأنه، وذلك خشية أن تهتز الروح المعنوية للجندي إذا واجه مقاومة عنيفة. في معركة جينا خاطب نابليون بونابرت قوات لانس مادحاً قوة أعدائه الفرسان البروسيين[195]، لكنه قلل من شأن وقوة المصريين[196].

يجب تحذير الضباط والقوات من لحظات الذعر المفاجئ التي غالباً ما تصيب أشجع الجيوش عندما تفقد الانضباط، وعندها لا يدرك الجيش بأن النظام هو أوثق وسيلة مؤدية للسلامة. لم يكن الخوف هو السبب في تعرض مائة ألف جندي من الأتراك للهزيمة في بيترواردين على يد الأمير يوجين[197]، وفي كاجول على يد رومانزوف[198]. كان السبب في هذه الهزائم أنه بمجرد صد هجماتهم الفوضوية يُترَك كل جندي منهم لاجتهاداته الشخصية، ولأنهم ينقضُّون بشكل فردي لا بكتل وتنظيم. تشبه حالة الذعر في الجيوش حالة الإحباط [انهيار المعنويات]، لأنه بمجرد حدوث الاضطراب في صفوف الجيش يصبح أي عمل متضافر من جانب الأفراد مستحيلاً، ويتعذر سماع نداء وأوامر الضباط، ولا يمكن تنفيذ أي مناورة لاستئناف المعركة، وليس هناك ملجأ إلا الهروب المخزي.

الأمم التي لديها مخيلة [أوهام] واسعة هي عرضة للذعر أكثر من غيرها، ولا تستطيع المؤسسات القوية ولا القادة المهرة علاج ذلك. حتى الفرنسيين المعروفين بامتلاكهم قادة

---

[195] لانس هو قائد ميمنة جيش نابليون الكبير في معركة جينا وهو جان لانس دي سيويرز (10 أبريل 1769 - 31 مايو 1809)، كان مارشال فرنسا، وهو واحداً من جنرالات نابليون الأكثر جرأة والموهوبين، حذر نابليون جنوده من قوة الخيالة البروسية قبيل معركة جينا

[196] وذلك إبان الحملة الفرنسية على مصر، وهي حملة عسكرية قام بها الجنرال نابليون بونابرت على مصر والشام (1798-1801م) بهدف إقامة قاعدة في مصر تكون نواة لإمبراطورية فرنسية في الشرق من ناحية، وقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند من ناحية أخرى وأيضاً لاستغلال مواردها في غزواته في أوروبا، استمرت الحملة 3 سنوات وفشلت وأسفرت عن عودة القوات الفرنسية إلى بلادها.

[197] كانت معركة بيتروفارادين أو بيترواردين انتصاراً حاسماً للجيش الإمبراطوري للإمبراطورية الرومانية المقدسة في الحرب بين أرشدشية النمسا الإمبراطورية الرومانية المقدسة والإمبراطورية العثمانية (1716-1718)، في بتروفارادين (جزء من جبهة عسكرية، وأرشدشية من النمسا؛ اليوم جزء من نوفي ساد، فويفودينا، صربيا).

[198] بيوتر أليكساندروفيتش رومیانتسيف (أو رومانزوف) (15 يناير 1725 - 19 ديسمبر 1796) كان واحدا من أشهر الجنرالات الروس في القرن الثامن عشر. قاد الجيش الروسي في معركة كاجول في أغسطس عام 1770 التي حدثت إبان الحرب الروسية التركية (1768-1774) وانتصر انتصارا ساحقا على العثمانيين.

يتمتعون بامتيازات عسكرية لا يمكن التشكيك فيها، كثيراً ما ارتكبوا أخطاء نتيجة الذعر وكانت أخطاءً سخيفة للغاية. قد نشير إلى الذعر الغير لائق الذي ساد مشاة المارشال فيلارس[199] بعد أن انتصر في معركة فريدلينغن في عام 1704[200]. وحدث الشيء نفسه لمشاة نابليون بعد انتصار فاغرام عندما كان العدو في انسحاب كامل[201]. كانت هناك حالة تدعو للاستغراب وهي هروب نصف اللواء[202]97 والبالغ عددهم ألف وخمسمائة من الجنود الأقوياء الفرنسيين في حصار جنوة أمام فصيلة من الفرسان. وبعد يومين استولى هؤلاء الرجال أنفسهم على حصن دايموند في واحدة من أقوى الاقتحامات المذكورة في التاريخ الحديث[203].

ومع ذلك فيبدو أنه من السهل إقناع الرجال الشجعان بأن الموت أسرع وأكثر وقوعا في حالة الهروب الفوضوي من حالة البقاء متكاتفين والتقدم على العدو في جبهة ثابتة، أو في حالة التحشد بسرعة في لحظة انكسار الخطوط.

وفي هذا الصدد يمكن أن يُتّخَذ الجيش الروسي نموذجاً يُقتدى به من قبل الآخرين، فالحزم الذي أظهره في جميع الانسحابات يعود إلى التساوي في الشعور القومي بين أفراد الجيش، والغريزة الطبيعية للجنود، والمؤسسات المنضبطة الممتازة. والواقع أن الخيال الحيوي ليس سبباً لإحداث الفوضى بشكل دائم، فغالباً ما كانت العادات الفوضوية للجنود تتسبب في ذلك، وعدم وجود الاحتياطات من جانب الجنرالات للحفاظ على هذا النظام يسهم في ذلك. وكثيراً ما استغربت من لامبالاة معظم الجنرالات بشأن هذه النقطة. ولم يقتصر الأمر على عدم اتّخاذ أي تدابير وقائية بإعطاء التوجيه الصحيح للمفارز الصغيرة أو الرجال المتفرقين،

---

[199] كلود لويس هيكتور فيلارس (1653-1734) هو مارشال فرنسا، ومن ألمع القادة العسكريين في عهد لويس الرابع ولد ڤيلارس في مولان Moulins بفرنسا وتوفي في تورينو Turino بإيطاليا

[200] حدثت معركة فريدلينجن في عام 1702 بين فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة. قاد القوات الإمبراطورية لويس وليام ومارجريف بادن - بادن، بينما كان قائد القوات الفرنسية كلود لويس هيكتور فيلارس. وانتصر الفرنسيون إلا أن الانتصار كان باهظ الثمن. ونود الإشارة إلأى أن المؤلف أخطأ في تاريخ المعركة إذ نص عليها في الكتاب بأنها حدثت 1704 في الوقت الذي تشير فيه جميع المصادر على وقوعها عام 1702.

[201] كانت معركة فاغرام (5-6 يوليو 1809) مواجهة عسكرية ضمن الحروب النابليونية التي انتهت بانتصار حاسم للجيش الفرنسي بقيادة الإمبراطور نابليون الأول ضد الجيش النمساوي تحت قيادة أرشدوق تشارلز من النمسا. أدت المعركة إلى تفكك التحالف الخامس، التحالف النمساوي والبريطاني ضد فرنسا. ضَعُف انضباط الجيش الفرنسي بعد المعركة نتيجة الإرهاق وانتشار حالات السكر بين الجنود.

[202] مصطلح النصف لواء يقصد به الفوج, واستعمل إبان الثورة الفرنسية لغرض هجر والتمييز عن مصطلحات النظام الملكي القديم, تم العودة إلى مصطلح الفوج عام 1803 بأمر من نابليون.

[203] حدث ذلك في حصار الجيش النمساوي للجيش الفرنسي بقيادة ماسينا في جنوة عام 1800 حيث دفع سلاح الفرسان النمساوي القوات الفرنسية عن بعض الحصون في البداية, تمكنت القوات بعد ذلك بيومين من استرجاع حصن دايموند.

وعدم اعتماد أي إشارات لتسهيل عملية تجميع الجنود المتناثرين لكل فرقة في لحظات الذعر أو في انقضاض لا يمكن دفعه من العدو، ولكنهم استاءوا من مجرد التفكير باقتراح هذه الاحتياطات. ومع ذلك فإن الأشد شجاعة والأكثر انضباطاً غالباً ما يكون عاجزاً عن علاج الفوضى الكبيرة وهو ما يمكن أن يتفاداه لحد كبير باستخدام إشارات التجميع لمختلف الفرق. وهناك حالات التي تكون فيها جميع الطاقات البشرية غير كافية للحفاظ على النظام، كما لو كان الإرهاق الجسدي للجنود كبيراً جداً لجعلهم يتجاهلون جميع النداءات، وعندها يجد الضباط أنه من المستحيل القيام بأي شيء لتنظيمهم، وهذا ما حدث في انسحاب عام 1812[204]. منعاً لهذه الحالات الاستثنائية فإن العادات الجيدة للتنظيم، والاحتياطات اللوجستية الجيدة للحشد والتجميع والانضباط الجيد كلها مجتمعة تؤدي إلى النجاح في معظم الأحيان، فإن لم تمنع حدوث الاضطراب، تعالجه على الفور في حال حدوثه.

لقد آن الأوان لإنهاء هذا الفصل، الذي أردت من خلاله بيان خطوطه العريضة، والمضي قدماً في معاينة المواضيع العسكرية البحتة.

---

[204] يقصد به انسحاب نابليون بجيشه الكبير من موسكو ومن روسيا ابتداء من اكتوبر عام 1812 حتى ديسمبر من نفس العام، وكان انسحابا مذلا حيث لم يتبق من جيش نابليون الكبير البالغ تعداده قبل الحملة على روسيا 690000 جندي إلا 93000 جنديا.



خريطة معارك أوروبا
امبراطورية فرنسا الأولى
مملكة بروسيا
امبراطورية النمسا
امبراطورية روسيا
مملكة فرنسا
الامبراطورية الرومانية المقدسة
الامبراطورية العثمانية
مملكة هولندا المتحدة
مملكة هانوفر
المملكة المتحدة
دوقية براونشفايغ
دوقية ناساو
دوقية القرم
معركة بورodino
1812
ضد
معركة إيلاو
1807
ضد
معركة لايبزغ
1813
ضد
معركة جينا
1806
ضد
معركة واترلو
1815
ضد
معركة فريدلينغن
1702
ضد
معركة فاغرام
1809
ضد
معركة أركول
1796
ضد
معركة مارينجو
1800
ضد
معركة بيتروفاردين
1716
ضد
معركة كاغول
1770
ضد
نهر الراين
نهر إلبه
نهر الأودر
نهر فيستولا
نهر إين
نهر الدانوب
نهر سالزاك
نهر أديجي
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies
NORS Studies
مركز نورس للدراسات